



سلطنة عمان
كلية العلوم الشرعية

عنوان البحث:

الجهود العسكرية والدعوية في عهد اليعاربة
الإمام ناصر بن مرشد وسلطان بن سيف نموذجاً.

إشراف الشيخ الدكتور: إبراهيم بن يوسف بن سيف الأغبري.

المناقش: الشيخ الدكتور: ناصر بن سليمان بن سعيد السابعي.

اسم الباحث: محمد بن سليمان بن عبدالله العدواني.

التخصص: أصول الدين / السنة الرابعة

١٤٤٠هـ / ٢٠١٩م

إلى كل روح تيقظت لمكر العدو، فأحيت في روحها الأمة،
وإلى كل قلب غيور على هذا البلد، وإلى ابن عمي الشهيد
الذي ضحى بنفسه لأجل هذا البلد، أهدي حروفي تلك...

شكر وعرفان

أشكر مشرف البحث، الدكتور إبراهيم بن يوسف بن سيف الأغبري، على ما سددني فيه ووجهني من خطة البحث، حتى نهاية البحث، وأشكر تحمله وصبره لي. وأتقدم بالشكر الجزيل لأمي وأبي وإخوتي الكرام، على وقفهم معي وتشجيعهم لي. كما أشكر الشيخ الباحث محمد بن عبدالله بن سعيد السيفي، لوقفته الصادقة معي منذ بداية مشواري في البحث إلى نهايته.

وأخيرا، أشكر كل من ساعدني بإعارة كتاب أو إرشاد إليه أو إخبار عنه.

لهم جميعا الشكر والتقدير...

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى أصحابه وأتباعه إلى يوم الدين، أما بعد...

فإن الدارس لكتب التاريخ، يجد نفسه يمر بشخصيات عظيمة، أسهمت في إحياء الأمة ورقيتها، واجتهدت لإعزاز كلمة لا إله إلا الله. وإن من هذه الشخصيات، الإمامين العالمين العاملين: ناصر بن مرشد اليعربي وسلطان بن سيف اليعربي، فكانت حياتهما كلها لله تعالى، يطلبان العلم منذ صغرهم، وعند توليها زمام الإمامة كانا يجاهدان في سبيل الله: من تغيير المنكر، ومشاركتهم الحروب ضد العدو، وقاما بواجبهما خير قيام: من إصلاح بين الناس، وتعليم الرعية، والحرص على الأمن والأمان في دولتهم، وتطبيق الأحكام.

أهمية الموضوع:

إن الأئمة والعلماء الذين اجتهدوا في طلب العلم منذ صغرهم، وساهموا في إصلاح مجتمعهم، وبذلوا الغالي النفيس لإعزاز كلمة لا إله إلا الله، وسلكوا مجال الدعوة والتربية، لحري أن يدون جهدهم؛ للسير على خطاهم والافتداء بهم، ولما كان الإمام ناصر والإمام سلطان من هؤلاء، فقررت الكتابة في هذا الموضوع، فجمعت ما كان مفرقا في الكتب والدراسات بطريقة سهلت ميسرة فيما يخص هذين الجانبين.

سبب اختيار الموضوع:

من دواعي اختياري لهذا الموضوع ما يأتي:

١. مكانة هذا الموضوع العلمية، حيث يتكلم عن سيرة إمامين ساهما في توحيد البلاد ونشر الدعوة إلى الله، وساهما في تربية المجتمع تربية إيمانية.
 ٢. قيدت عنوان البحث في الجانب العسكري والدعوي للإمامين؛ لعدم وجود مؤلف جمع هذين الجانبين عند الإمامين.
 ٣. ميول الكاتب ورغبته في البحث عن هذه الشخصيات الفذة.
- ومن الدراسات التي جمعت الحياة العسكرية والدعوية في أئمة اليعاربة: كتاب الدعوة الإسلامية في عهد اليعاربة. للباحث سالم بن محمد بن سالم الرواحي.

صعوبات البحث:

- قد يواجه الإنسان عددا من الصعوبات عند قيامه بأي عمل، ولكن درجة الصعوبة تختلف من عمل لآخر، وعند كتابتي لهذا البحث، واجهت شيئا من الصعوبات، مثل:
١. قلة وجود المراجع المرتبة والمنسقة، وبها معلومات متناثرة، وبعضها ينقل من المراجع التي سبقتها.
 ٢. توجد بعض المراجع المهمة التي تحدثت عن الإمامين، ولكن لم أستطع الوصول إليها؛ لعدم وجودها في مكتبة الكلية، وندرتهما في السوق العماني.

منهج البحث:

اتبعت في هذا البحث المنهج التاريخي، فقد تتبعته ما استطعت عليه من سيرة الإمام ناصر والإمام سلطان، وحاولت استنباط وتجميع ما يخدم الدراسة، وكما أنني استخدمت المنهج التحليلي للوصول إلى بعض الخصائص المتعلقة بالإمامين، وقد تحدثت في البداية عن نشأتهم، والأوضاع التي سبقتهم، ثم

بعد ذلك تحدثت كيف وصلوا إلى منصب الإمامة، ثم بعد ذلك تحدثت عن التحركات العسكرية والدعوية في زمانهم.

خطة البحث:

الفصل الأول: عصر الإمامين وحياتهما الشخصية.

المبحث الأول: الأوضاع قبل مجيء الإمامين.

المطلب الأول: عمان في العصر النبواني.

المطلب الثاني: تدهور الحركة العلمية في عمان.

المبحث الثاني: الإمام ناصر بن مرشد.

المطلب الأول: نسب الإمام ناصر وحياته.

المطلب الثاني: البيعة وما رافقتها من أحداث.

المطلب الثالث: صفاته وأخلاقه ووفاته.

المبحث الثالث: الإمام سلطان بن سيف.

المطلب الأول: نسب الإمام سلطان وحياته.

المطلب الثاني: بيعته.

المطلب الثالث: صفاته وأخلاقه ووفاته.

الفصل الثاني: الجهود العسكرية في عهد الإمامين.

المبحث الأول: الجهود العسكرية زمن الإمام ناصر بن مرشد.

المطلب الأول: توحيد الجبهة الداخلية.

المطلب الثاني: مواجهة البرتغاليين.

المبحث الثاني: الجهود العسكرية زمن الإمام سلطان بن سيف.

المطلب الأول: تطهير عمان من البرتغاليين.

المطلب الثاني: ملاحقة البرتغاليين في شرقي إفريقيا.

المطلب الثالث: المواجهات ضد البرتغاليين في المحيط الهندي والخليج العربي.

الفصل الثالث: الدعوة عند الإمامين.

المبحث الأول: الدعوة عند العمانيين.

المطلب الأول: تعريف الدعوة لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: موقع عمان الجغرافي وأثره في الدعوة عند العمانيين.

المبحث الثاني: الدعوة عند الإمام ناصر بن مرشد والإمام سلطان بن سيف.

المطلب الأول: التنظيم الفكري عند الإمامين وأثره في الدعوة.

المطلب الثاني: التنظيم السياسي والعسكري عند الإمامين ودوره في الدعوة.

المطلب الثالث: التنظيم الاجتماعي والاقتصادي عند الإمامين ودوره في الدعوة.

الفصل الأول: عصر الإمامين وحياتهما الشخصية.

المبحث الأول: الأوضاع قبل مجيء الإمامين.

عاشت البلاد قبل مجيء هذا العهد فترة من الزمن تقدر بأكثر من نصف قرن وصلت الفوضى أعلى مراتبها، وساد في حياة الناس ليل مدلم أرخى سدوله المظلمة على كل بقعة وعلى كل مكان، وشهدت عمان في هذه الآونة الشيء الكثير من الاضطرابات والتناقضات، وكثيرا من الخلافات التي أدت بدورها إلى أعمال النهب والسلب، وقتل كثير من الأنفس وغاب الأمن والأمان عن ربوع البلاد ليحل محل ذلك الخوف والقلق والحروب الطاحنة المستمرة، وكانت هذه الفترة حقا فترة عصيبة مرعبة اختفى خلالها نظام الإمامة إلا في القليل النادر، وتقسمت البلاد يومها إلى مقاطعات عديدة يحكم كل مقاطعة زعيم من الزعماء، أو أسرة من الأسر، والغريب في الأمر أن هؤلاء الزعماء وهذه الأسر لم تكن في يوم من الأيام على وفاق فيما بينها، بل كانت الخلافات بينها قائمة على أشدها، وكانت الصراعات تنشب بينها في كل حين، وتدور رحى الحرب بين بعضها البعض لأتفه الأسباب، وبدون أسباب أيضا، بل إن النزاع والخلاف كان كثيرا ما يثور بين أفراد الأسرة الواحدة التي تحكم أو تتحكم في قبيلة من القبائل، ثم سرعان ما يشتبكون في قتال طاحن وهم إخوة أو أبناء عمومة... كما حدث هذا بالفعل في أسرة النباهنة وغيرها من الأسر^(١).

ولمزيد من التوضيح في وصف الأحوال التي حدثت قبيل ظهور الدولة اليعربية سوف نتناول في هذا المبحث مطلبين، ويكون المطلب الأول للعصر النبهي باعتبار أن أغلب الأوضاع التي سادت عمان إبان هذه الفترة قد ارتبطت بهذه الدولة.

(١) انظر الرواحي. سالم بن محمد بن سالم. الدعوة الإسلامية في عمان في عهد اليعاربة. مكتبة الضامري. السيب. سلطنة عمان. الطبعة الأولى. ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م. ص ٢٥-٢٦.

المطلب الأول: عمان في العصر النبھاني.

ينسب بنو نبھان إلى العتيك التي تنتمي إلى قبيلة الأزد التي ينتهي نسبها إلى يعرب بن قحطان بن هود عليه السلام، وقد أكد انتساب النبھانة إلى العتيك الشاعر أبو بكر أحمد بن سعيد الخروصي الستالي، وهو شاعر النبھانة المعاصر لفترة حكمهم الأولى، أمّا بالنسبة لفترة حكم النبھانة فإن المؤرخين العمانيين، أجمعوا على أنهم حكموا مدة تزيد عن خمسمائة سنة أو قرابة ذلك، وكان ذلك على فترتين، الفترة الأولى وتسمى بملوك النبھانة الأوائل، واستمرت أربعمائة عام في الفترة ما بين (٥٤٩ هـ/١١٥٤ م) إلى عام (٩٠٦ هـ/١٥٠٠ م) أما الفترة الثانية وتعرف بفترة النبھانة المتأخرين، وتمتد بين عام (٩٠٦ هـ/١٥٠٣٤ هـ) الموافق (١٥٠٠ هـ/١٦٢٤ م) أي إلى قيام دولة اليعاربة، وقد تخللت حكم النبھانة أحداث مختلفة منها نصب الأئمة، والصراع على السلطة بين ملوك بني نبھان أنفسهم من جهة، وبينهم وبين القبائل العمانية الأخرى من جهة أخرى^(١).

وقد سادت عمان على تلك الحال من النزاع والتمزق طيلة عهد النبھانة حتى منتصف القرن العاشر الهجري (٩٤٢ هـ/١٥٣٥ م) وهي الفترة التي تم فيها تنصيب (بركات بن محمد بن إسماعيل^(٢)) إماما في عمان، وذلك في سنة (٩٤٢ هـ/١٥٣٥ م)، وهذه الفترة التي أعقبت إمامة الإمام (محمد بن إسماعيل الحاضري الخروصي^(٣)) (٩٠٦ هـ/١٥٣٥.١٥٠٠ م) والذي بقي في الإمامة (٣٦) عاما لكن يبدو أن الإمام بركات لم يكن متفقا على إمامته من الجميع، ولم يكن موضع ثقة الكل كما كان الحال في عهد أبيه، الأمر الذي نجم عنه انقسامات خطيرة في صفوف الأمة حيث عمد المعارضون

(١) انظر السالمي. عبد الله بن حميد. تحفة الأعيان. مكتبة الأمام نور الدين السالمي. السيب الحيل الجنوبية ٢٠٠٠ م. ت في الخامس من ربيع الأول ١٣٣٢ هـ ج١. ص ٣٥٧. وانظر الأغبري. إبراهيم بن يوسف بن سيف. عمان في عهد اليعاربة. القاهرة مركز الراءة للنشر والإعلام. الطبعة الأولى ٢٠١٧ م. ص ٧١٧٠.

(٢) هو بركات بن محمد بن إسماعيل الحاضري، في القرن العاشر، بعد وفاة أبيه، عقد له البيعة ثلة من العلماء على رأسهم العلامة: عبدالله بن عمر الشقصي وذلك في سنة ٩٤٢ هـ. انظر الشيباني. سلطان بن مبارك الشباني والجزائري. محمد صالح ناصر. معجم أعلام الإباضية. دار الغرب الإسلامي. الطبعة الأولى ١٤٢٧ هـ/٢٠٠٦ م. ص ٦٨.

(٣) هو محمد بن إسماعيل بن عبدالله بن محمد بن إسماعيل الحاضري، عقدت له البيعة في ٩٠٦ هـ/١٥٠٠ م، توفي سنة ٩٤٢ هـ/١٥٣٥ م. انظر الشيباني. سلطان بن مبارك الشباني والجزائري. محمد صالح ناصر. معجم أعلام الإباضية. ص ٣٧٦.

لإمامته، وقدموا (عمر بن القاسم الفضيلي^(١)) إماما في الوقت الذي كان فيه بركات إماما، كما نصب أيضا في أيام (بركات) (عبدالله بن محمد القرن^(٢)) إماما في (منح^(٣) ٩٦٧هـ/١٥٥٩م، ومن الواضح أن كل واحد منهما كان يخطئ صاحبه ويعتبره باغيا عليه، وقد حدث بينهما نزاع وقتال، تغلب (بركات) على (القرن) وتم له إخراج (القرن)، من حصن بهلا الذي كان قد تغلب عليه هو الآخر وأخذه من بركات قبل ذلك، كانت هذه الأحداث فيما بين سنة (٦٧.٤٢) من القرن العاشر الهجري أي خلال (٢٥) عاما، ولقد كان واضحا من تتبع هذه الأحداث أن هؤلاء الأئمة الثلاثة كانت إمامتهم منحصرة في بعض المناطق فقط، ولم يستطع أي واحد منهم أن يوحد البلاد تحت زعامة وتحت راية واحدة بدليل أنه في سنة (٩٦٤هـ/١٥٥٦م) كان قد أخذ (نزوى^(٤)) سلطان بن محسن بن سليمان بن نبهان النبھاني^(٥)، وفي سنة (٩٦٥هـ/١٥٥٧م) استولى أيضا على حصن (بھلا) منتزعا إياه من محمد ابن جيفر الجبري، مع أن الإمام (بركات) في هذه الفترة نفسها كان لا يزال حيا، والواقع أن هؤلاء الأئمة الثلاثة كانت تمثل نقطة البداية لفترة التسلط والانحلال والزعامة والجبروتية التي تلت ذلك فيما

(١) هو عمر بن قاسم الفضيلي، في القرن العاشر الهجري، تولى حكم عمان عندما سخط أهلها على الإمام بركات بن محمد بن إسماعيل، ممن بايعه: الشيخ الفقيه أحمد بن مداد ومعه كثير من أهل عمان، لم يبق وقتا طويلا في الحكم؛ إذ انقلب عليه أهل عمان، وبايعوا عبدالله بن محمد القرن إماما لهم. انظر الشيباني. سلطان بن مبارك الشباني والجزائري محمد صالح ناصر. معجم أعلام الإباضية. ص٣٢٧.

(٢) هو عبدالله بن محمد بن عبدالله القرن المنحى، (حي: ٩٨٤هـ/١٥٧٦م)، إمام فقيه، عاش في القرن العاشر الهجري؛ من ولاية منح، أخذ العلم من والده الشيخ محمد بن عبدالله القرن، بايعه المسلمون بمنح إماما يوم الجمعة لخمس عشرة يوما من رجب سنة ٩٦٧هـ/ ١١ إبريل ١٥٦٩م، وانتهت إمامته سنة ٩٦٨هـ/ ١١ يوليو ١٥٦١م، ثم بعد ذلك انتقل من وطنه منح إلى نزوى، فأقام بها إلى أن مات، ودفن عند مساجد العباد، يوجد له خطبة في الاستسقاء، وكما توجد له وصفة طبية في صفة الأدوية التي يستعان بها على الحفظ. انظر انظر السعدي. فهد بن علي بن هاشل. معجم الفقهاء والمتكلمين الإباضية. مكتبة الجيل الواعد الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م. ج١، ص٣١٠، ٣٠٩.

^٣ منح مدينة تقع بين إزكي ونزوى.

^٤ نزوى مدينة تاريخية عريقة كانت عاصمة للإمامة تبعد عن مسقط حوالي ١٢٠ كم.

(٥) هو سلطان بن محسن بن سليمان النبھاني، أحد ملوك نزوى المتأخرين استولى عليها عند خروج الإمام بركات سنة ٩٦٤هـ متوجها إلى بھلا، وتوفي سنة ٩٧٣هـ، وترك من الأولاد ثلاثة. انظر الشيباني. سلطان بن مبارك الشباني والجزائري محمد صالح ناصر. معجم أعلام الإباضية. ص٢٠٣.

بعد، إذ إنَّ هذه الفترة التي برز فيها هؤلاء الأئمة لم تكن سوى عهد الاحتضار (لنظام الأئمة) في تلك الآونة حيث سادها الضعف واختلاف الرأي والتنازع بين القوى المؤيدة والمعارضة^(١).

هذا الأمر الذي جعل البلاد في هذه الحالة بسبب تفرق الكلمة وعدم اتحادهم على إمام واحد، فلو تتبعنا كل الأحداث التاريخية نجد أن سبب انتكاسات المسلمين وغير المسلمين عدم توحدهم على كلمة واحدة وقلب واحد، فلو كان كل إمام من أئمة هذه الفترة اجتمعوا وتشاوروا في الأمر ونصب أفضلهم لما كانت أن تمر البلاد في هذه الأزمة التي بسببها اختفى نظام الإمامة لفترة طويلة.

وبهذا الوضع استطاعت تلك الزعامات المتربصة أن تستغل هذا الوضع وتبتهل هذه الفرصة السانحة لها وتطل بقرنها من جديد شأنها في ذلك شأن كل الفترات فيقتحم أحد الزعماء وهو (سلطان بن محسن النبھاني) فيستولي على (نزوى)، ويستمر في حكمه لها تسع سنوات، بعد هذه الفترة اختفت الإمامة بالكلية، ودخلت البلاد في طور جديد هو عهد النباهنة وعهد الطوائف الأخرى، وخلال هذه الفترة الواقعة فيما بين موت الإمام (بركات) في حدود سنة (٩٦٨هـ/١٥٦٠م) أو بعدها بقليل وبين تنصيب الإمام ناصر بن مرشد سنة (١٠٣٤هـ/١٦٢٤م) والتي استمرت ما يقارب من (٥٦) عاما تنازعت البلاد فيها زعامات متطاحنة متناحرة، فأسرة النباهنة أفرادها مختلفون فيما بينهم يقتل بعضهم بعضا من أجل الاستيلاء على الحكم، وظلوا كذلك لا يخرجون من صراع إلا إلى صراع جديد ولا ينتهون من اشتباك إلا إلى اشتباك آخر، وهؤلاء بدورهم أيضا مشتبكون مع زعامات أخرى لقبائل أخرى، والفريقان في عراق مستمر ونزاع لا انقطاع له وهكذا تجد تلك الزعامات نفسها مشتبكة مع بعضها البعض، وقد سارت الأمور في هذه الفترة على هذا المنوال ومشت على هذه الوتيرة وكأنها تدور في حلقة لا أول لها ولا آخر، فمن نزاع إلى آخر ومن غلبة إلى أخرى^(٢).

(١) انظر السالمي. تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان. ص ٣٩١، ٣٩٢. وانظر الرواحي. الدعوة الإسلامية في عمان في عهد اليعاربة. ص ٢٧، ٢٨.

(٢) انظر السالمي. تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان. ص ٣٩٠، ٣٩١. الرواحي. الدعوة الإسلامية في عمان في عهد اليعاربة. ص ٢٨، ٢٩.

ويقول في هذا الأمر صاحب كتاب عمان في عهد اليعاربة: ((بسبب تلاعب الظلمة وأعمدة الفساد تمزق ملك عمان، وانقسمت إلى دويلات متعددة تحت حكومات صغيرة، ونتيجة لذلك رأى العلماء ضرورة إقامة الإمامة لإعادة العدل وتحقيق الاستقرار في البلاد، فدارت المراسلات بينهم وتشاوروا في أمرهم، وكانوا حينئذ أربعين عالماً أو يزيدون، وقدوثهم الشيخ العلامة خميس بن سعيد الشقصي^(١) صاحب كتاب "منهج الطالبين وبلاغ الراغبين")^(٢).

وفي رأيي أن هذه الأمور التي ذكرها المؤرخون من التنازع على السلطة هي التي تهوي بالبلاد إلى الحضيض، وهذا الذي نراه قد حصل في البلاد بعدما تنازعوا على السلطة والذي ترتبت عليه نتائج غير محمودة كعدم استقرار البلاد سياسياً واقتصادياً، وغياب الأمن والأمان، وعدم استقرار الأنفس، وكل هذه النتائج غابت بغياب نظام الإمامة بالكامل، ولم تنحل هذه الأوضاع إلا بعد مجيء الإمام ناصر ابن مرشد الذي وحد البلاد، وسوف يأتي ذكر الإمام بالتفصيل فيما بعد.

(١) هو الشيخ العلامة القاضي الفقيه، خميس بن سعيد بن علي بن مسعود بن عبدالله بن زياد الشقصي، من نزوى، واستوطن الرستاق؛ ولذلك ينسب إليها، فيقال: الرستاق، وأما ولادته لا يوجد نص يحدد لنا العام الذي ولد فيه الشيخ الشقصي - رحمه الله - فجميع المصادر التي ترجمت له لم تذكر هذا الأمر، غير أن الذي يظهر للشيخ أحمد بن سعود السياري أن الشيخ - رحمه الله - ولد في عام (٩٩٠هـ) تقريباً، أي في نهاية القرن العاشر الهجري، وكانت نشأته في بلدة (قصرى) من قرى الرستاق، ولم تذكر المصادر شيواً لشيخنا الشقصي - رحمه الله -، ولكن هناك من يرى أن الشيخ مسعود بن رمضان النبهايني كان من شيوخه؛ لأن الأخير كان مفتي زمانه، وأما تلاميذ الشيخ الشقصي - رحمه الله - كالإمام ناصر بن مرشد اليعربي، والإمام سلطان بن سيف اليعربي، ومنهم الشيخ عبدالله بن محمد النزوي، وكانت وفاته في سنة (١٠٧٠هـ) (١٦٠٦م)، ومن آثاره العلمية كتابه الموسوعي (منهج الطالبين وبلاغ الراغبين)، وكما ترك لنا أجوبة عقدية وفقهية متنوعة، ماثلة في كتب التراث. انظر الشقصي. خميس بن سعيد بن علي بن مسعود. منهج الطالبين وبلاغ الراغبين. مكتبة مسقط. سلطنة عمان. الطبعة الثانية. الجزء الأول. ص ١١٠، ١٠٩، ٨، ٧.

(٢) انظر التحفة. ج ٢. ص ٣. وانظر الأغبري. عمان في عهد اليعاربة. ص ٧٥.

المطلب الثاني: تدهور الحركة العلمية.

من الأوضاع غير المحمودة التي وصلت إليها البلاد؛ عدم الارتقاء الفكري والعلمي، وهذا الأمر كان له الدور الكبير في التلاعب بعقول الناس وبقدراهم حتى أن أحد حكام اليعاربة من أهل (وبل) من الرستاق^١ كما يقال لم يجد له قاضيا من أهل المذهب فاتخذ له قاضيا من غير المذهب^(٢).

والذي يسترعي النظر في هذه الحادثة أن وجود قاضٍ في ذلك اليوم من غير أهل المذهب كان يعتبر شيئا مستغربا وأمرًا خطيرا، ولكن سوف يزول هذا الاستغراب إذا عرفت أن ذلك العهد بغشمه وظلمه وظلامه لم يكن له أي اهتمام أو غاية بما يتعلق بالعلم والعلماء، وأكثر من ذلك أنه لم يبق على العلماء أنفسهم، لقد كان أولئك الحاكمون بأمهم دائما يمثلون الخط المعارض لقضية العلم والعلماء؛ لأن هذه الجهة في نظرهم تعتبر القوة الوحيدة القادرة على التصدي لهم وانتزاع زمام السلطة منهم وإبعادهم عن التحكم في عباد الله وعن الفساد في الأرض، كما حدث ذلك بالفعل فيما بعد عندما تنادى العلماء واجتمعوا على تنصيب الإمام ناصر^(٣).

ومما ينبغي علينا ذكره أيضا في هذه الفترة أنه يوجد بعض العلماء غير أنهم ابتعدوا عن الساحة السياسية خوفا من بطش النباهنة الذين اشتهر عنهم الطغيان، وخير شاهد على ذلك ما فعله خردلة الجبار بالشيخ ابن النظر^(٤) عندما امتنع عن دفع نصف مهر ابنة أخته يقال لها عائشة بنت محمد بن راشد بني النظر، فكان مصيره الرمي من مكان مرتفع من القصر، وحرق منزله، وحرق كافة مؤلفاته، وهذا هو الحال في هذه الفترة في حكم النباهنة^(٥).

^١ مدينة عريقة اتخذها الإمام ناصر بن مرشد عاصمة لدولته، تبعد عم العاصمة حوالي ١٦٠ كم.

^(٢) السالمي. تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان. ج١. ص٤١٠.

^(٣) انظر الرواحي. الدعوة الإسلامية في عمان في عهد اليعاربة. ص٣٣، ٣٢.

^(٤) هو أحمد بن سليمان بن عبدالله بن أحمد؛ أبو بكر الناعي الشهير بـ "ابن النظر" (ق ٦ هـ/ ١٢ م)، عالم فقيه، وناظم للشعر، عاش في القرن السادس الهجري من ولاية سمائل، أخذ العلم على يد شيخه مبارك بن سليمان بن ذهل، بدأ في نظم الشعر وهو لم يتجاوز ١٤ سنة من عمره، له عدة مؤلفات ذهبت ولم يبق منها شيء، منها الوصيد في ذم التقليد، والجمان في سيرة أهل عمان، ومرآة البصر في جمع المختلف من الأثر. انظر السعدي. معجم شعراء الإباضية. الجزء الأول والثاني. ص ١٦.

^(٥) السالمي. تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان. ج١. ص٣٦١.

المبحث الثاني: الإمام ناصر بن مرشد اليعربي.

سوف نتحدث في هذا المبحث عن حياة الإمام وما دار من أحداث في تلك الفترة وكيف وصل إلى حكم الإمامة بإذن الله تعالى.

المطلب الأول: اسمه ونسبه:

هو الإمام ناصر بن مرشد بن أبي العرب بن محمد بن يعرب بن سلطان بن حمير بن مزاحم بن يعرب بن محمد بن يعرب بن مالك بن أبي العرب اليعربي، وهو ابن عم الإمام ناصر بن مرشد اليعربي من ولد نصر بن زهران^(١)، والذي استنبطه صاحب كتاب الدعوة الإسلامية في عمان في عهد اليعاربة في ولادة الإمام ناصر على وجه التقريب في مستهل القرن الحادي عشر الهجري، وأورد عن بعض المصادر أن سنه يوم تولي الإمامة كان لا يتجاوز العشرين سنة وعلى هذا يكون مولده في حدود سنة ١٤ من القرن الحادي عشر الهجري بناء على أن توليه زمام الإمامة كان سنة ٣٤ على الأرجح وليس سنة ٢٤^(٢).

وقد اختلف نسابو عمان حول نسب اليعاربة، فمنهم من ينسبهم إلى نصر بن زهران، ومنهم من ينسبهم إلى النباهنة وعند تتبع نسب نصر بن زهران، نجد أن نسبه هو نصر بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبدالله بن مضر بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ ابن يشجب بن يعرب بن قحطان، أما النباهنة فينسبون إلى العتيك بن الأسد بن عمران بن عمرو مزقياء بن عامر ماء السماء بن الحارث بن الغطريف ابن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زياد بن كهلان بن يشجب بن يعرب بن قحطان، من خلال هذه الوصف يتضح أنه لا يوجد اتصال قريب بين نسب اليعاربة والعتيك التي ينتسب إليها النباهنة فيسوغ لنا القول إن اليعاربة فرع من النباهنة، ومن جانب آخر فإن من أنصار الرأي الأول القائل بأن اليعاربة

(١) انظر السالمي. تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان. ج ٢. ص ٣.

(٢) انظر الرواحي. الدعوة الإسلامية في عمان في عهد اليعاربة. ص ٧٠.

ينسبون إلى نصر بن زهران الشاعر الكيذاوي^(١) والمؤرخ ابن قيصر^(٢)، وهما من المؤرخين العمانيين الأسبق زما من غيرهم، وعلى هذا فيكون الكيذاوي وابن قيصر ممن عاصروا عهد النباهنة واليعاربة وكانوا قريبي عهد بفترة حكمهم، فلا يمكن أن ينسبوا اليعاربة بنسب مخالف لهم. ومن هنا يمكن القول وبشكل عام بأن نسب اليعاربة إلى نصر بن زهران هو الأقرب إلى الصواب عن اعتبارهم أحد فروع النباهنة، نظرا إلى قوة الأدلة ووضوح القرائن، إلا أننا لا نستطيع أن نجزم بذلك حتى تظهر مادة علمية جديدة تكشف لنا الحقيقة وتزيل عنا الغموض^(٣).

المطلب الثاني: حياته وبيئته:

الإمام ناصر من أئمة القرن الحادي عشر الهجري، وكان مسكنه بقصرى من مدينة الرستاق، وبها نشأ وترعرع، ثم انتقل منها إلى عاصمته مدينة نزوى، وبها استقر بقية حياته، وبتربتها كان مدفنه، والإمام ناصر هو أول إمام في اليعاربة، وأول من قامت عليه دولتهم، وكانوا قبل ذلك كغيرهم من العرب رؤساء في الرستاق وما يليها بعدما تقسمت الممالك على أيدي الرؤساء، ببيع بالإمامة في الرستاق في عام أربعة وثلاثين بعد الألف (١٠٣٤هـ/١٦٢٤م)، وبعد البيعة قدمت إليه رسل من نزوى يدعونه إلى ملكها فأجابهم إلى ذلك ففتح نزوى ثم أمر الإمام ببناء حصن في عقر نزوى؛ وكان قديما قد بناه الإمام

(١) هو موسى بن حسين بن شوال الحسيني؛ المشهور بـ "الكيذاوي" (حي: ١٠٢٤هـ / ١٦١٥م) شاعر النباهنة المتأخرين، عاش في النصف الثاني من القرن العاشر وأول القرن الحادي عشر الهجري، من بلدة محليا من وادي عندام بناية سمد الشأن، تعلم القرآن الكريم وعلومه على يد والده الشيخ حسين بن شوال، من أعماله له ديوان مطبوع، لكن سقط منه ما يقارب خمسين قصيدة أو أكثر. انظر السعدي. فهد بن علي بن هاشل. معجم شعراء الإباضي. مكتبة الجيل الواعد. الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م. الجزء الأول والثاني. ص ٣٦٨.

(٢) هو عبدالله بن خلفان بن قيصر بن خلفان الصحاري؛ المشهور بـ "ابن قيصر"، (حي: ١٠٧٥هـ / ١٦٦٥م)، فقيه وناظم للشعر، عاش في القرن الحادي عشر الهجري؛ من ولاية صحار، من آثاره العلمية: سيرة جامعة لفتوحات ووقائع وأحداث وأحوال الإمام ناصر بن مرشد، يذكر فيها الحدث نثرا ثم يذكره نظما، كما مدح فيها ورثى مجموعة من علماء عصره. انظر السعدي. معجم شعراء الإباضية. الجزء الأول والثاني. ص ٢٤٨.

(٣) انظر التحفة. ج ٢. ص ٤٩. وانظر الفتح المبين. ج ٢. ص ١٤٨. وانظر الأغبري. عمان في عهد اليعاربة. ص ٩٦٠٩٥.

الصلت بن مالك^(١)، فأكمل الإمام بنيانه، وأحيى النشاط العلمي بنزوى وسائر بلدان عمان، وفي عهده بدأت حركة إحياء الموروث العلمي وإعادة استنساخ الآثار، كما كتب العهود لعماله، وأوضح لهم الطريق المستقيم الذي يسرون عليه^(٢).

كان العقل المدبر لموضوع الإمامة في هذه الفترة، ولنصب هذا الإمام بالذات هو العلامة الشقصي، فقد كان قدوة العلماء في زمانه، والعلامة الشقصي هو الذي أشار على أهل الحل والعقد من العلماء الآخرين بتنصيب الإمام ناصر؛ وذلك لخبرته به، ولمعرفته التامة بأهليته لهذا المنصب، فقد كان ربيبه ومعاشيه في بيته، ويبدو أنه لم يحصل أي تردد من قبل ناخبيه، لمعرفة أصحاب الرأي وأهل الشورى بمكانة الشيخ خميس وصدق نصحه وأمانته، ولثقتهم في الإمام ناصر، وفي شيخه الذي اختاره وبناء على هذا فقد تم الاتفاق بالإجماع على اختياره، وبالتالي على تنصيبه، ومن الطبيعي في مثل هذه الظروف أن يتم التشاور ومبادلة الرأي في تكتم وعلى استخفاء، وذلك لكثرة البغاة والمعوقين والمثبطين والخارجين على شرع الله، ويقدر العلماء الذين اتفقوا على البيعة بحوالي أربعين وقيل: إنهم سبعون رجلاً من جهابذة العلماء، وكان على رأس الذين عقدوا له البيعة وأجمعوا على إمامته هم: الشيخ خميس بن

(١) هو الإمام الصلت بن مالك الخروصي، من أشهر أئمة عمان الذين حكموا في القرن الثالث الهجري، بويع له بالإمامة سنة ٢٣٧هـ، استمرت إمامته ٣٥ سنة، وعمر في الإمامة ما لم يعمر أحد قبله، توفي ٢٧٥هـ، وصلى عليه الإمام عزان بن تميم. انظر الشيباني. سلطان بن مبارك الشباني والجزائري محمد صالح ناصر. معجم أعلام الإباضية. ص ٤٨٨.

(٢) انظر السيفي. محمد بن عبد الله بن سعيد. السلوى في تاريخ نزوى. المجلد الثاني الطبعة الأولى: ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م. ج ٢. ص ٣٣٤.

سعيد الشقصي والشيخ مسعود بن رمضان النبهاني^(١)، والشيخ صالح بن سعيد الزامي^(٢)، والشيخ عبدالله بن محمد بن محمد بن غسان^(٣).^(٤)

المطلب الثالث: صفاته وأخلاقه ووفاته:

نشأ الإمام ناصر. منذ صغره . على الورع والتعفف والقناعة والتحلي بالأخلاق العالية العطرة، وكان الناس وهو في هذا السن المبكر يلمسون منه الزهد والتقوى والصفات الحميدة، وكانوا يتوسمون فيه مخائل النجاة وعلامات الخير والصلاح، ولقد كان ميمون الطالع موفقا لفعل الخير والمسلك الحسن، على خلاف ما كانت عليه سيرة آبائه من الانغماس في شؤون الدنيا وبهرجتها وملذاتها، فكان غاية في التقشف والورع، حريصا على أن لا يفوته منها شيء، ولقد استطاع بأخلاقياته هذه أن يؤثر في الأمة

(١) هو العلامة مسعود بن رمضان النبهاني، كان على رأس المؤيدين للإمام ناصر بن مرشد اليعربي، وكان قاضيه الثاني، وقائد جيوشه لتوحيد عمان وطرده البرتغال، توفي في سنة ١٠٥٠هـ، انظر نزوى عبر التاريخ. حصاد الندوة التي أقامها المنتدى الأدبي في الفترة من ١٦_١٧ جمادى الآخرة ١٤١٩هـ الموافق ٧_٨ أكتوبر ٢٠٠١م. الطبعة الثانية. ص ١٢٦.

(٢) العلامة صالح بن سعيد الزامي النزوي، كان قاضيا للإمام ومساندا له وداعيا لنصرته، ولكن هذا الشيخ كان ضريرا لم يحمل السلاح ولم يجاهد بالسيف إنما كان جهاده بالعلم ولذلك خلف مسائل فقهية كثيرة من الفتاوى جمعت في مجلدين تحت مسمى (جوابات الشيخ صالح). انظر نزوى عبر التاريخ. ص ١٢٦.

(٣) الشيخ عبدالله بن محمد بن غسان بن محمد، أبو محمد الخراسيني النزوي، عالم فقيه، ووال نزيه، من أشيخه الذين أخذ منهم العلم: العلامة محمد بن عمر بن أحمد بن مداد، تولى للإمام ناصر بن مشد على سمد الشأن، وأقام بحصنها المسمى (حصن خزام)، وقاد له الجيوش، من آثاره العلمية كتاب (خزانة الأخيار في شرح بيوعات الخيار) يقع في ثلاثة مجلدات، ولم يعرف له تاريخ وفاته، إلا أنه كان حيا سنة ١٠٤٥هـ. ١٦٣٥م، وقد توفي بين مكة والمدينة بعد أدائه لمناسك الحج، وخروجه للمدينة المنورة. انظر السعدي. فهد بن علي بن هاشل. معجم الفقهاء والمتكلمين الإباضية. الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م. ج ٢، ص ٣١٠ ط ١. مكتبة الجيل الواعد.

(٤) انظر التحفة. ج ٢. ص ٣. وانظر الفتح المبين. ج ٢. ص ١١٤. وانظر الرواحي. الدعوة الإسلامية في عمان في عهد اليعاربة. ص ٩٦. ٩٥.

أما تأثير فحدث أن تأثرت الأمة بزهده وورعه وتدينه، وبمسلكه الخير الحميد فكثر العلماء وزاد التدين والتمسك بآداب الإسلام في بين عامة الناس، وانتشار الورع بينهم^(١).

والراجع عند صاحب كتاب (السلوى في تاريخ نزوى) في وفاة الإمام ناصر بن مرشد اليعربي، أنه توفي رضي الله عنه والمسلمون عنه راضون وله مؤازرون ومناصرون، ضحى يوم الجمعة في العشر من ربيع الآخر سنة ١٠٥٩ هـ/١٦٤٩ م، وكانت إمامته ستا وعشرين سنة، ودفن بنزوى مع مساجد العباد^(٢).

(١) انظر الرواحي. الدعوة الإسلامية في عمان في عهد البعارة. ص ٧٦.

(٢) السيفي. السلوى في تاريخ نزوى. ص ٣٣٦.

المبحث الثالث: الإمام سلطان بن سيف اليعربي.

المطلب الأول: نسب الإمام وحياته:

هو الإمام سلطان بن سيف بن مالك، ابن عم الإمام ناصر وقد أشرت إلى نسبه سابقاً^(١). نشأ الإمام سلطان في عهد ولاية أسرته على الرستاق، وقد عاش فترة أيضاً في عهد ابن عمه (الإمام ناصر بن مرشد)، وقد اكتسب في هذه الفترة خبرة ومرانا في الحكم وإدارة شئون البلاد، إذ كان ملتصقا بالإمام ناصر، وأحد معاونيه وولاته^(٢).

أما بالنسبة ليوم ولادته لم تذكر الدراسات ذلك وإنما ذكر ذلك البعض تقريبا وليس جزما وقالوا لا يتصور أن يكون الإمام ناصر عينه واليا قبل أن يبلغ العشرين من عمره، بحكم صغر سنه وقلة خبرته وتجربته، فمن هذه المعطيات استنتجوا احتمالا أن ولادة الإمام سلطان بن سيف كانت أوائل عام ١٠٠٨هـ/١٦٠٠م أو قبل ذلك بقليل^(٣).

المطلب الثاني: بيعته:

ببيع له في اليوم الذي مات فيه الإمام ناصر بن مرشد^(٤)، وبما أن وفاة الإمام ناصر كما أشرنا سابقا في عام ١٠٥٩هـ/١٦٤٩م^(٥). فإننا نستنتج من هذا أن بيعة الإمام سلطان بن سيف كانت في عام ١٠٥٩هـ/١٦٤٩م.

(١) انظر الفتح المبين. ج٢. ص١٤٨. وانظر الأغبري. عمان في عهد اليعاربة. ص٩٥.

(٢) انظر الرواحي. الدعوة الإسلامية في عمان في عهد اليعاربة. ص١١٣.

(٣) انظر الأغبري. عمان في عهد اليعاربة. ص٩٨.

(٤) انظر الرواحي. الدعوة في عهد اليعاربة. ص١١٨.

(٥) السيفي. السلوى في تاريخ نزوى. ص٣٣٦.

قد كان على رأس المبايعين له نخبة من العلماء الأجلاء الذين كانوا قد قاموا بنصب الإمام (ناصر) قبل (٢٦) عاما، ثم امتدت بهم الحياة إلى هذا الوقت، وكان من بين هؤلاء العلماء الشيخ خميس ابن سعيد الشقصي صاحب اليد الطولى في إمامة الإمام ناصر^(١).

المطلب الرابع: صفاته وأخلاقه ووفاته:

اتصف الإمام سلطان بالأخلاق العالية، والصفات الحميدة، وبالالتزام التام بأسس الإسلام وسجايه، وبأوامره ونواهيه، وقد عرفنا أنه تربى في ظل الإمام ناصر بن مرشد (ابن عمه) والذي كان مضرب المثل في التمسك بأخلاقيات الإسلام، وكان له من رجاحة العقل، وقوة الشخصية، والحنكة في القيادة، والمهارة في التدبير، ومن التحلي بالعزم والتصميم وسداد الرأي، أضف إلى ذلك أنه كان واحدا من علماء عصره، ومن أهل الفقه في دين الله، وهذه صفة لا بد منها للشخص الذي ترشحه الأمة للقيام بمسؤولية (الإمامة)، وقد أجمع واصفوه أنه كان كثير التواضع عالي الأخلاق، يخرج بنفسه منفردا ليستطلع أحوال رعيته، وأنه يجلس مع الناس كواحد منهم ولا يحتجب عن رعيته ويسلم على صغيرهم وكبيرهم كأنه واحد منهم، شأنه في ذلك شأن الخلفاء الراشدين، والأئمة المهتدين^(٢).

أما عن وفاته فقد اختلف المؤرخون حول وفاة الإمام سلطان بن سيف، فمنهم من يرى أنه توفي عام ١٠٧٩هـ/١٦٦٨م، ومنهم من يرد وفاته إلى عام ١٠٩٠هـ/١٦٧٩م، وفريق ثالث يذهب إلى أن وفاته كانت عام ١٠٩١هـ/١٦٨٠م، والراجح عند صاحب كتاب عمان عبر التاريخ أن أكثر الأقول قبولا للواقع هو أن وفاته كانت عام ١٠٩٠هـ/١٦٧٩م، بسبب اعتماد المؤرخين على أهم مصدرين

(١) انظر منهج الطالبين. ج١. ص٦٣٨. وانظر الرواحي. الدعوة الإسلامية في عمان في عهد اليعاربة. ص١١٩.

(٢) انظر الفتح المبين ج٢. ص١٥٧. وانظر الرواحي. الدعوة الإسلامية في عمان. ص١١٥، ١١٦.

من المصادر المهمة والمبكرة في تاريخ عمان وهما (كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة^١، والصحيفة القحطانية^٢)(٣).

^١ من أول المصادر العمانية في التاريخ العماني للشيخ سرحان بن سعيد الإزكوي.

^٢ هي موسوعة تاريخية من تأليف المؤرخ العماني حميد بن محمد بن رزيق بن بجيت.

^(٣) انظر السيابي. عمان عبر التاريخ. ص ٢٤٦. والسالمي. تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان. ص ٥١. وانظر الأغبري. عمان في عهد اليعاربة. ص ١٩٤.

الفصل الثاني: الجهود العسكرية عند الإمامين.

ومما يظهر لي خلال دراسة الفترة التي كانت قبل مجيء الإمامة التي مرت بها البلاد من تعسف وحروب قبلية، وكل ذلك لتولي كرسي الحكم، وهذه الأوضاع شجعت الدول الأجنبية لدخول البلاد، وتنكيل العباد فيها كما سيأتي ذكره في هذا الفصل، ومن خلال هذا نتعرف على المواجهات التي مر بها الإمامان في الداخل والخارج.

المبحث الأول: الجهود العسكرية عند الإمام ناصر بن مرشد.

سوف أتحدث في هذا المبحث عن تحركات الإمام العسكرية على حسب التسلسل التاريخي.

المطلب الأول: توحيد الجبهة الداخلية.

كانت البلاد في الوقت الذي بويع فيه الإمام ناصر مقسمة في الملك بين القبائل فنجد أن ملك الرستاق يومئذ مالك بن أبي العرب^(١)، وملك نخل سلطان بن أبي العرب^(٢)، وملك سمائل مانع بن سنان العميري^(٣)، وملك سمد الشأن علي بن قطن الهلالي^(٤)، وملك إبراء محمد بن جيفر^(٥)، وإزكي^٦

(١) هو مالك بن أبي العرب بن سلطان اليعربي، في القرن التاسع، كان من الأعيان وحاكما على الرستاق بعد تفكك دولة النباهنة، وكانت له مكانة رفيعة بين أمراء عصره. انظر الشيباني. سلطان بن مبارك الشباني والجزائري محمد صالح ناصر. معجم أعلام الإباضية. ص ٣٦٠.

(٢) هو سلطان بن أبي العرب بن مالك بن أبي العرب اليعربي، عاش في القرن الحادي عشر الهجري، هو ابن عم الإمام ناصر بن مرشد. كان حاكما على نخل قبيل قيام دولة الإمام ناصر الذي حاربه وخلص نخل من يده. انظر الشيباني. سلطان بن مبارك الشباني والجزائري محمد صالح ناصر. معجم أعلام الإباضية. ص ٢٠١.

(٣) هو مانع بن سنان بن سلطان العميري، في القرن العاشر والحادي عشر، كان حاكما على سمائل قبيل قيام دولة اليعاربة، كانت وفاته قبل سنة ١٠٥٩ هـ. انظر الشيباني. سلطان بن مبارك الشباني والجزائري محمد صالح ناصر. معجم أعلام الإباضية. ص ٣٦٢.

(٤) هو علي بن قطن الهلالي، حي في: ١٠٣٠ هـ، زعيم عاش في أواخر القرن العشار وأوائل القرن الحادي عشر الهجريين. انظر الشيباني. سلطان بن مبارك الشباني والجزائري محمد صالح ناصر. معجم أعلام الإباضية. ص ٣١٨.

(٥) هو محمد بن جيفر بن جبر، في القرن الحادي عشر، كانت بينه وبين الإمام ناصر بن مرشد معارك متعددة؛ انتهت بهزيمة محمد بن جيفر وقتله. انظر الشيباني. سلطان بن مبارك الشباني والجزائري محمد صالح ناصر. معجم أعلام الإباضية. ص ٣٨٣.

^٦ إزكي مدينة بالمنطقة الداخلية قريبة من نزوى تبعد عن مسقط حوالي ١٠٠ كم.

بيد بني عذرة، ونزوى بيد أهل العقر، ومنح بيد الأغابرة، وحصن بهلا وحصن بلاد سبت بيد سيف بن محمد الهنائي^(١)، وحصن الغبي بيد بني هلال، وحصن مقنيات وبات بيد الجبور، وحصن ينقل بيد ناصر ابن قطن^(٢)، وحصن توام بيد بني هلال، وحصن لوى بيد سيف بن محمد بن جبر^(٣)، وحصن جلفار^٤ بيد العجمي الملقب ناصر الدين، وأما صحار ومسقط وقریات^٥ وصور^٦ بيد النصارى^(٧).

أول أمر قام به الإمام هو ومن معه أن أجمعوا على أن يهجموا على قلعة الرستاق ليلا فلم يشعر بنو عمه داخل القلعة إلا وجنود الله يقتحمون عليها، فوقفهم الله ففتحوها، وكانت من أصعب الحصون وأشدّها حصانة في ذلك الوقت^(٨).

وهنا لابد أن ألفت الانتباه إلى أمر مهم، وهو أن الإمام لم يتخذ القرار بنفسه، وإنما بعد مشورة بينه وبين العلماء، وهذا الأمر كان أول شيء بدأ فيه الإمام للقيام بدولته.

ثم بعد ذلك عندما تمت السيطرة على الرستاق توجه إلى معقل آخر مجاور للرستاق ألا وهو بلدة نخل والذي كان يسيطر عليه عمه (سلطان بن أبي العرب)، فتوجه الإمام بمن عنده من أنصاره ومؤيديه،

(١) هو سيف بن محمد الهنائي، في أواخر القرن العاشر وبداية الحادي عشر، وهو أحد زعماء بني هناة. انظر الشيباني. سلطان بن مبارك الشباني والجزائري محمد صالح ناصر. معجم أعلام الإباضية. ص ٢٣٢.

(٢) هو ناصر بن قطن بن جبر الجبري، أحد زعماء الجبور، عاش في القرن العاشر، وبداية الحادي عشر، كان باغيا على الإمام وأعان الأعداء على حرب الإمام ناصر بن مرشد. انظر الشيباني. سلطان بن مبارك الشباني والجزائري محمد صالح ناصر. معجم أعلام الإباضية. ص ٤٦٧.

(٣) هو سيف بن محمد الهلالي، زعيم، في القرن الحادي عشر الهجري، كان مسكنه لوى، وهو أحد زعماء الجبور. انظر الشيباني. سلطان بن مبارك الشباني والجزائري محمد صالح ناصر. معجم أعلام الإباضية. ص ٢٣١.

^٤ جلفار: تقع غربي مدينة (رأس الخيمة) الحالية وليس مكانها بالذات وقد هدمها الغزاة البرتغاليون عدة مرات. انظر عمان تاريخ يتكلم ص ٣٦.

^٥ قریات: تقع على الساحل على بعد ١٠٠ كم عن العاصمة.

^٦ صور مدينة وميناء مشهور بالمنطقة الشرقية من عمان تبعد عن مسقط حوالي ٣٠٠ كم. انظر العاني. عبد الرحمن عبد الكريم. تاريخ عمان في العصور الإسلامية الأولى. دار الحكمة. لندن. الطبعة الأولى. ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م. ص ٨٤.

(٧) انظر ابن رزيق. حميد بن محمد بن رزيق بن بخت النخلي العماني. الفتح المبين. سلطنة عمان. وزارة التراث والثقافة. الطبعة السادسة: ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م. ج ٢. ص ١١٥، ١١٦.

(٨) انظر السيائي. سالم بن حمود بن شامس. عمان عبر التاريخ. سلطنة عمان. وزارة التراث. الطبعة الخامسة: ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م. ص ١٤٤. ج الثالث والرابع.

وقمت السيطرة على هذه المنطقة وأخرج البغاة منها، وعين عليها واليا من قبله وهو (عبدالله بن سعيد الشقصي)^(١).

وكانت هناك فرقة من أهل نخل غير تابعة للإمام عند فتحها فظاهرت عليه الأعداء فحاصروه في الحصن ثم أتاه رجال الیحمد فناصروه وبدد الله شمل أعدائه، ثم بعد ذلك رجع الإمام إلى الرستاق، ثم قدمت إليه وفد من نزوی يدعونه إلى ملكها فأجابهم إلى ذلك وساروا في قومه من رجال الیحمد، ونزلوا بشرجة صفد من سمد نزوی، وأقام بها ليلة فلم يصدقوه لما وعدوه فرجع إلى الرستاق، وأقام بها مدة ثم بعد ذلك جاءه أحمد بن سليمان الرواحي ورجال من بني رواحة وقوم من أتباع مانع بن سنان العميري يدعونه إلى ملك سمائل ووادي بني رواحة فأجابهم، وسار في رجال من الیحمد ونزل وادي بني رواحة، وترك بعض قومه عند الأمير مانع بن سنان بعد أن دخل في طاعة الإمام، واتفق رأي الإمام والأمير أن يتوجها بالجيش إلى نزوی، وسار معهم القاضي خميس بن سعيد وناصرت الإمام قوم من أهل إزكي بالمال والرجال فملك إزكي وقصد نزوی فتلقاه أهلها بالكرامة ودخلها على حال السلامة، ونزل في حي يسمى العقر، وكانت فرقة من أهل العقر من قبيلة أبناء أمبوسعيد وهم رؤساء أهل العقر تسفहत أحلامهم، وشاركهم قوم من أهل سوق نزوی، واجتمعوا أن يدخلوا على الإمام بجيشهم يوم الجمعة عند الذهاب إلى الصلاة فأخبر الإمام بذلك، فثبت أمرهم عنده فأمر بإخراجهم من مكانهم ونهى عن قتلهم، بل أمر أن ينفوا من أماكن الإمام، فخرجوا صاغرين والتجأ بعضهم بمانع بن سنان في بلد سمائل، وكان مانع قد أعطى الإمام العهود والمواثيق على الطاعة فخان ونكث، والتجأ بعضهم إلى سيف بن محمد الهنائي ببهلا وأزرته على حرب الإمام فاستقامت الحرب بين الإمام والهنائي، ثم بعد ذلك جاء إليه أهل منح يدعونه إلى إقامة العدل فيهم فتوجه إلى منح وافتتحها ثم رجع إلى نزوی، ثم أتاه أهل سمد الشأن، وكان المالك لها علي بن قطن الهلالي، فوجه الإمام جيشا يقدمهم الشيخ الفقيه مسعود بن رمضان فافتتحها، ثم أتاه أهل إبراء فجيش عليها الإمام وافتتحها ودانت له سائر الشرقية ما خلا صور وقریات فإتخما كانتا في يد النصاری، ثم بعد ذلك جهز الإمام جيشا وسار به إلى الهنائي ببهلا فوصل إلى قاع المرخ فخان بعض جيشه فرأى الرجوع أصلح فرجع إلى نزوی وجعل يجمع الجيوش والعساكر فاجتمع

(١) انظر ابن رزيق. الفتح المبين. ج ٣، ٤. ص ١١٨. وانظر الرواحي. الدعوة الإسلامية في عهد العباسية. ص ٩٨.

له خلق كثير فسار بهم إلى الظاهرة وافتتح وادي فدى وأمر ببناء حصنها ونصره أهل العلاية من ضنك وكان مقدمهم الشيخ العالم خميس بن رويشد^(١) ورجال الغالين واستقام أمره بها^(٢).

فلما توالى للإمام النصر قام يطوف على البلدان التي ملكها، فلما رأى أهلها ثابتين على العهد، غير ناقضين للعقد، رجع إلى الرستاق، ومعه من بني ريام رجال كثيرة، فلم يلبث مكثه في الرستاق إلا أياما قليلة، عندها هجم محمد بن جيفر الجبري على نخل، فدخلها واحتوى عليها ولم يتبق شيء في نخل إلا وقد استولى عليه إلا حصنها، فلما علم الإمام بصنيع محمد بن جيفر بنخل، مضى إليه بجيش خضم، فيه رجال من المعاول وسائر القبائل، فهزم محمد بن جيفر وجنوده، ورجع الإمام إلى الرستاق بعدما تحقق هدفه في نخل، فلم يلبث مرة أخرى في الرستاق إلا أياما قلائل، فأتاه الشيخ خميس بن رويشد يستنصره على الظاهرة، فجهز الإمام لها جيشا كبيرا، وسار به حتى نزل على الصخبري (قرية في منطقة الظاهرة)، وانضافت إليه رجال السر والضحاحكة (من قبائل الظاهرة)، فقصده بجمعه حصن الغبي، وفيه يومئذ جمهور بني هلال ومعهم جملة من البدو والحضر، فاستقامت الحرب بينهم، وكانت بينهم ملحمة شديدة، قتل فيها أخو الإمام جاعد بن مرشد، وانهمز جيش بني هلال، ولم يستولِ الإمام يومئذ على الغبي، فتوجه إلى عبري^٣، فاقتحمها، وأقام فيها ليلة، ورجع إلى الصخبري، فلما انفصل عنها أحاط بحصن الغبي، فحاصره أياما قلائل، ثم فتحه، فولى على حصن الغبي وأهلها الشيخ خميس بن رويشد الرويشدي، وقيل: إن الإمام قد بعث أخاه جاعد بن مرشد اليعربي^(٤) لحرب حصن الغبي بجيش

(١) هو خميس بن رويشد بن خميس المجربي، (ت: قبل ١٠٥٩هـ/١٦٤٩م)، وال وفقهه، وناظم للشعر، عاش في القرن الحادي عشر الهجري؛ من بلدة العلاية من أعمال ضنك، كان عالما مفتيا، وأحد ولاة الإمام وقادة جيوشه، من آثاره العلمية له أرجوزة في الفقه، تقع في ٣٨٣ بيتا تقريبا، توفي في عهد الإمام ناصر بن مرشد، وقد رثاه ابن قيصر. انظر الفهدي. معجم الفقهاء والمتكلمين. الجزء الأول والثاني. ص ٢٠١.

(٢) انظر السالمي. تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان. ج ٢. ص ٤٤، ٥، ٦.

^٣ مدينة عبري هي إحدى مدن محافظة الظاهرة وتبعد عن العاصمة بنحو ٢٧٩ كم.

(٤) هو أخو الإمام ناصر بن مرشد اليعربي، وأحد رجال دولته، قتل في حصن الغبي. انظر الشيباني. سلطان بن مبارك الشباني والجزائري محمد صالح ناصر. معجم أعلام الإباضية. ص ٨٣.

كثير، فوقعت بينه وبين بني هلال ورجال الغبي ملحمة شديدة، قتل فيها أخوه جاعد ورجع الجيش إلى الإمام، فجيش الإمام جيشاً خضماً، فافتتح حصن الغبي، وفتح سائر الحصون المعارضة للإمام^(١).

بعد انتهاء قضية عبري والغبي، وما كان للإمام من النصر المؤزر رجع إلى نزوى وأمر الولاة الذين تركهم على الغبي وعلى عبري وعلى بات بفتح ما بقي من حصون الظاهرة؛ لأنه خلف لديهم جيشاً ضخماً، فإن بني هلال وهم رهط الجبور خرجوا على الظاهرة آملين أن ينالوا مراداً أبعد غيبة الإمام، فتجمعوا في ضنك والتقاهم الولاة بقلوب مؤمنة متوكلة على الله ففضوا جموعهم، وأخذوا إبل الطاغية قطن بن قطن^(٢)، ولما خضع المذكور للإمام ردَّ الإمام عليه إبله، ثم بعد ذلك حاصر الولاة حصن مقنيات، وكان بيد الجبور، فنار الجبور بجيش ضخم من طغاة الظاهرة الذين لا يفقهون ديناً ولا يهتدون سبيلاً، وبعد ما رأوا عجزهم انقلبوا إلى حصن بات نظراً إلى أنه واسطة العقد في طريق المسلمين، وإذا قبضوه رأوا أنهم قبضوا طريق الثورة من ناحية الشرق، والتقاهم الولاة هناك، فدارت بينهم المعارك منذ صلاة الفجر إلى منتصف النهار وكثر القتل وعظم الخطب، ولم تزل الدماء سائلة والسيوف تعمل في الرجال من الجانبين، وكادوا أن يعجزوا عن دفن القتلى فكانوا يحفرون الحفر ويرمون القتلى فيها السبعة والثمانية، وهكذا لم يتسلط البغاة على حصن بات إلا أن شوكتهم بقيت ناشطة؛ بسبب القتلى، وعند ذلك سار الإمام من نزوى، ووصل بهلا، وكان الهنائي السالف الذكر أحد البغاة العتاة، وأحد الذين ناصروا الجبور، فرأى الإمام قلع هذه الشجرة الفاسدة، وعند ذلك ثارت الجبور؛ لمنصرة الهنائي ببهلا؛ لأنه أحد أركانهم في حرب الإمام، وولاته وكان دخول بهلا ليلة عيد الحج، وكان الهنائي قد استعد لحرب الإمام لعلمه أن أفعاله تستدعي ثورة المسلمين عليه، وأن الإمام سوف يذهب إليه، فحاصره الإمام هو وجيشه، فتقاتلوا في البلاد وحواليها وحول حصنها ودارت معارك شديدة، وقتل من جيش الجبور أحد

(١) انظر ابن رزيق. حميد بن رزيق بن بخت. الفتح المبين. ج ٢. ص ١٢٣، ١٢٢.

(٢) هو قطن بن قطن الهلالي، أحد زعماء بني هلال، كان مسكنه في بادية الشمال، وله حصن شاهق في بلدة الأفلج الواقعة في الشمال الغربي من عبري، من ظاهرة عمان. انظر الشيباني. سلطان بن مبارك الشباني والجزائري محمد صالح ناصر. معجم أعلام الإباضية. ص ٣٥٢.

قاداته وهو قاسم بن مذكور الدهمشي^(١)، وقتل معه رجال كثيرون، ورجع الجبور منهزمين، وبقي الهنائي في حصنه، ولم يزل محصورا حتى رأى أن لابد له من الخروج فطلب الأمن من الإمام فأمنه هو ورجاله وماله وآله حربه، وتولى الإمام الحصن وولى عليه واليا ورجع إلى نزوى، وهكذا استمر الوضع عند الإمام ناصر كلما سکن حركة بلد قامت عليه أخرى^(٢).

وكما تعلمون أن الإمام بعد ما أخرج أهل العقر عندما تمردوا عليه ذهب بعضهم إلى مانع بن سنان العميري فاستقبلهم، وقد كان من قبل أخذ المواثيق والعهود أنه تابع للحق، فعندما نكث العهد توجه الإمام إلى سمائل لمحاربة مانع؛ بسبب نقضه للميثاق، فلم يمتنع مانع من الإمام وصالحه على ألا يخرج من حصنه بل يكون تابعا للحق فتركه الإمام؛ ثم عزم الإمام على بناء حصن سمائل القديم، فبناه وشيد أركانه، وجعل فيه واليا ورجع إلى نزوى، ثم جهز جيشا إلى مقنيات وسار إليهم، فلما وصلها وقعت بينهم الحروب فنصره الله عليهم، فما لبثوا في حصنهم إلا دون ثلاثة أشهر، وافتتح الإمام الحصن، وجعل فيه محمد بن علي بن محمد^(٣) واليا، ثم إن سعيدا الحياي ومن معه أسروا العداوة للإمام، وكانت عليهم الجبور وأدخلوهم قرية الصخبري وقتلوا رجلا من الضحاحكة وناسا من شراة الإمام فدافعهم من حضر ووقعت بينهم وقائع في مواضع منها وقعة بالعجيفة وهي وقعة شديدة، ومنها وقعة بالغابة، ومنها وقعة بالمطهرة، ومنها وقعة بالزيادة وهي وقائع شديدة كاد أن يتزعزع ركن الإسلام، وقد أدبر عن الوالي أناس كثر من قومه وما بقي معه إلا القليل، وبقي الوالي محصوراً في حصن الغبي، فجيش والي مقنيات جيشا وهو محمد بن علي، وجاء ناصر للوالي محمد بن سيف^(٤) المحصور في حصن الغبي فدخل عليهم

(١) هو قاسم بن مذكور الدهمشي، أحد زعماء قبيلة الجبور، عاش في أواخر القرن العاشر وبداية القرن الحادي عشر الهجري، قتل في معركة بينه وبين جند الإمام سنة ١٠٥٩ هـ. انظر الشيباني. سلطان بن مبارك الشباني والجزائري محمد صالح ناصر. معجم أعلام الإباضية. ص ٣٥١.

(٢) انظر السيبي. سالم بن حمود بن شامس. عمان عبر التاريخ. ج ٤، ص ٣. ص ١٥١، ١٥٠.

(٣) هو محمد بن علي الرستاق، في أواخر القرن العاشر وبداية الحادي عشر. كان مسكنه بالرستاق، عمل واليا للإمام ناصر بن مرشد على بلدة مقنيات من أعمال عيري، وقاد جيوشه لمواجهة فتح الشمال من عمان. انظر الشيباني. سلطان بن مبارك الشباني والجزائري محمد صالح ناصر. معجم أعلام الإباضية. ص ٤٢٠.

(٤) هو محمد بن سيف الحوقاني، في القرن الحادي عشر، أحد قادة الإمام ناصر بن مرشد، كان واليا على قرية بات. انظر الشيباني. سلطان بن مبارك الشباني والجزائري محمد صالح ناصر. معجم أعلام الإباضية. ص ٤٠٥.

على حين غفلة من أمرهم ففرق الله شملهم في سائر البلاد، ثم إن مانع بن سنان صاحب سمائل راسل سيف بن محمد الهنائي سرا، وجمعا الجموع ودخلا نزوى، ولم يخل أهلها من خديعة وعصيان وظاهرهم بعض القبائل فدخلوا نزوى واحتوا على العقر وما بقي للإمام سوى الحصن وداروا به أشد ما يكون، وكادوا لكثرتهم أن يهدموا عليه السور حتى جاءت النصر من إزكي وبهلا ومعهم قوم من بني ريام فدخلوا على الإمام فسر بقدمهم ففرقت عنه جيوش أعدائه بعد أن قتل من قتل منهم، فاقترح بعضهم للإمام بهدم حصن مانع بن سنان بسمائل فجهز له جيشا وعلم به مانع فخرج من حصنه إلى فنجا، وجاء الجيش فهدم الحصن وخرج مانع من فنجا إلى مسقط، ثم خرج منها إلى لوى عند محمد بن جيفر^(١).

ثم جدير بنا أن نذكر سيف بن محمد الهنائي، عندما خرج من بهلا حدثته نفسه أن يبني حصنا ببلادسيت، ليكون مأوى له ولمن معه من الرجال البغاة، ولما علم الإمام بأمره، وقد عرفه فيما سبق من حاله جهز له جيشا وجعل قائده العلامة عبدالله بن محمد بن غسان مؤلف كتاب (خزانة الأخيار في بيع الخيار)، ولما حل الجيش ببلادسيت استشعر سيف بن محمد العجز وأيقن بالذل، ففضل الخضوع والهرب من البلاد، فتولى الشيخ القائد الأمر في البلد، وأمر بهدم الحصن المشار إليه فهدم، وبعد ذلك ضاقت الأرض على سيف بن محمد، فجاء إلى الإمام مظهرا للتوبة يطلب العفو من الإمام عما أحدث، فعفا عنه، وخضع لحكم الإمام، وعندما انتهى أمر الهنائي سيف بن محمد في بلادسيت، خرج الإمام ناصر بنفسه إلى ينقل بجيش ضخم؛ لتأديب ناصر بن قطن صاحب ينقل فنزلها جيش المهروب، وأحاط بالبلاد وطبق عليها الحصار فضاقت ذرع الهالالي ولم يسعه حصنه، فطلب التسيار من الإمام فيسره وولى الإمام واليا على ينقل، ثم بعد ذلك رجع إلى عاصمته الرستاق مكللا بالنصر والظفر^(٢).

ثم بعد ذلك رجع الإمام إلى الرستاق، فمكث فيها أياما قلائل، ثم جمع جيشا كثيرا، وأمر عليه الشيخ عبدالله بن محمد بن غسان الكندي النزوي، وأمره أن يقصد جوف توام، فمضى إليها، فلما وصلها، استفتحتها، فولى عن أمر الإمام على توام وقراها كافة الشيخ أحمد بن خلف الشامسي^(٣)، ثم

(١) انظر السالمي. تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان. ج ٢. ص ٨، ٩، ٧.

(٢) انظر السيادي. عمان عبر التاريخ. ج ٤، ٣. ص ١٥٧، ١٥٦.

(٣) هو أحمد بن خلف النزوي، في القرن الحادي عشر الهجري، كان مسكنه نزوى، أحد ولادة الإمام. انظر الشيباني. سلطان بن مبارك الشباني والجزائري محمد صالح ناصر. معجم أعلام الإباضية. ص ٥٠.

قصد أمير الجيش الشيخ عبدالله بمن معه من الجيش إلى بلدة لوى، والباعث إلى ذلك أن الجبور اختلفت كلمتهم، وتشتت آراؤهم بقتل محمد بن جيفر الجبري، وكان في حياته هو المالك لحصن لوى، فوقعت بينهم العداوة والبغضاء في قتله، فبعضهم راضٍ بقتله، وبعضهم متعصب لقتله، فصار حصن لوى بعده في يد سيف بن محمد بن جيفر الهلالي، وقد هرب أخو محمد بن جيفر الجبري إلى حصن صحار، فلاذ بالنصارى، وكان مانع بن سنان يومئذٍ عند النصارى بصحار، فظلوا يغزون جيش الإمام المحاصر لحصن لوى، ويمدون أهل الحصن بالطعام وآلة الحرب، وعسكر الإمام قد شدوا عليهم الحصار، وقائد الجيش كله يومئذٍ الشيخ عبدالله بن محمد الكندي النزوي فتددت بالصلح بينهم أولاد محمد بن جيفر في ظاهر الأمر، وهو غدر منهم في الباطن، ومرادهم بذلك الاطلاع على كثرة جيش الإمام، وقتلته، وضعفه، وقوته، في الباطن أنهم يحرضونهم على الحرب، ويعدونهم النصر إليهم بالمال والرجال، فلما علم القائد عبدالله بن محمد بكيدهم، ومكرهم، وغدرهم، وخديعتهم، أرسل إليهم رجالا من جيشه مشهورين بالشجاعة والبأس، في مقدمتهم محمد بن علي، فسار بهم محمد، فهجم عليهم قبل الفجر، فوجدهم بالمنقل مما يلي الجنوب من الحصن على ساحل البحر، فدارت بينهم رحى الحرب، واشتد بينهم الطعن والضرب إلى أن انتصر عليهم، ثم رجع محمد بن علي إلى لوى هو ومن معه^(١).

هنا موقف يلفت الانتباه من الوالي عبدالله بن محمد، عندما علم بالمكيدة والخديعة والغدر، وهو أنه لم يتأخر ولم يتوان في مداومة العدو فما كان منه إلا المسارعة قبل أن يلتف العدو عليه هاجمهم برجال من جيشه الشجعان، فحقق الله قصدهم.

وبعد أن رجع محمد بن علي الذي أرسله الوالي للذين كانوا يكيّدون له المكيدة إلى لوى عند الوالي منتصرا حاصروا الحصن حصارا أشد من الحصار الأول، فلما علم سيف بن محمد الهنائي الانتصار، ورأى أن ليس له يد تفك الحصار، أرسل إلى الشيخ عبدالله بن محمد يريد الأمان، وليسلم له الحصن، فأجابه إلى ذلك، فخرج من الحصن ومن معه من الرجال بزادهم وسلاحهم، ودخل الوالي وخاصته

(١) انظر ابن رزيق. الفتح المبين. ج ٢. ص ١٢٩.

الحصن، ثم إن الشيخ عبدالله رجع إلى نزوى، وولى على حصن لوى قبل أن يرجع محمد بن علي، وقد سرّ الإمام بما صنعه الشيخ عبدالله في لوى، وسرّ جميع المسلمين من كسر شوكة الظالمين.^(١)

وما زال مانع في هذه الفترة يحمل الحقد والعداوة للإمام قادحا في الدولة يعطي الإمام العهود والمواثيق وينقضها ويدعن بالطاعة وينكث، وما زال على هذا الحال، حتى جاء مداد بن هلوان يستأذن الإمام في قتل مانع بالاحتيايل فأذن له، فكاتب مداد مانعا ليدخله حصن لوى وأطمعه فيه بلطف، وكان الوالي فيها يومئذ حافظ بن سيف^(٢)، فلم يزل مداد يكاتب مانعا ويتلطف، وكان مانع في دبا فركن إلى قول مداد وفرح به وطمع في الحصن فركب من دبا إلى صحار فأقام بها أياما ينتظر أمر مداد فجدد له مداد الوعد وضمن له بدخول الحصن وواعده على ليلة معلومة، فلما جاءت الليلة المتفق عليها، فرق الوالي العساكر يتجولون في البلاد كأنهم يسيرون وتعاهدوا أن يلتفوا على مانع من اليمين والشمال، فلم يدر مانع إلا وقد أحاطت به الرجال، وأخذ قهرا، وقتل هو وبعض جنوده وتفرق بقية جنوده^(٣).

بعدما قتل مانع ما زال بعض الطغاة الآخرين لم يكفوا أيديهم عن البلاد والإمام، وما زال الطاغية ناصر بن قطن يغزو عمان بمن معه من الأحساء^٤، ويأخذ من بواديها المواشي، ويسلب وينهب في كل سنة، ويرجع الأحساء، فكتب الإمام لواليه محمد بن سيف الحوقاني أن يتجسس بقدم هذا الطاغية مرة أخرى، فإذا علم عن مجيئه التقاه الجيش قبل دخوله إلى عمان، فجمع الوالي عنده العسكر من البدو والحضر، فلما وصل إليه خبر قدوم ناصر خرج له ليلتقاه، فلما علم ناصر بجيش الإمام، قصد الظفرة، ودخل حصنها، وتعصب له بنو ياس، ووجه ناصر رسله إلى الوالي يطلب الصلح، وقد قل على الوالي الزاد، وبعدت عليهم البلاد، فصالحه فرد ما نهبوه، وغرم ما أ تلفوه مما اكتسبوه، ورجع الوالي هو ومن معه، وأما ناصر فإنه جمع البدو من الظفرة، وعزم على الهجوم على حصن الجوى، وكان فيه أحمد

^(١) انظر ابن رزيق. الفتح المبين. ج ٢. ص ٣٠.

^(٢) هو حافظ بن سيف، أبو يحيى، في القرن الحادي عشر، أحد أعوان الإمام، وواليا على بلدة لوى. انظر الشيباني. سلطان بن

مبارك الشيباني والجزائري محمد صالح ناصر. معجم أعلام الإباضية. ص ٩٣.

^(٣) انظر السالمي. تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان. ج ٢. ص ١١.

^٤ المقصود بها الآن البحرين وما حولها.

بن خلف واليا، وتابع ناصر كافة أهل الجو وأعانوه على الوالي، وأداروا بالحصن، فعلم به الولاية من الباطنة والظاهرة، فخرجوا لنصرة الوالي أحمد بن خلف، فخرجت جيوش الأعداء منها، ثم أقبل الوالي الأكبر من نزوى بجيشه، فأمر بهدم حصون الجو كافة ما عدا حصن الإمام، وتفرقت الأعداء، كل منهم مضى في وجهة، فمنهم من ذهب إلى صحار مع النصاري، ومنهم إلى جلفار، كل ما مروا ببلد غزوه وقطعوا الطرق، فسارت إليهم الولاية فقتل من قتل منهم، وانهمز من انهمز، وأخذ الوالي إبلهم ورجع إلى عمان، وأما ناصر بن قطن ومن معه فقد مضى إلى الباطنة، فهجم على إبل بني خالد وبني لام، فأخذوا وسلبوا ما على النساء من الحلبي والكسوة، ورجعوا بما أخذوا إلى الأحساء، ثم إن ناصر بن قطن رجع إلى عمان مرة أخرى، وقصد الباطنة للنهب والسلب، فجهز له الإمام جيشا، وأمر عليه علي بن أحمد، وعضده محمد بن صلت الريامي، وعلي بن محمد العبدي^(١)، وأحمد بن بلحسن البوشري، فمضوا إلى قرية لوى، فأقبل ناصر بن قطن بقومه، فوقع بينهم الحرب، ثم ركب ناصر إلى مجيس، فاتبعه الوالي بمن معه، ثم ركب ناصر قاصدا أرض الشمال، فذهب الوالي في طلبه، فكان أول من لحقه أحمد بن بلحسن البوشري ومراد وراشد بن حسام وبعض الشراة^٢ بمنطقة يقال لها الجروس، فوقع القتل في المسلمين قبل أن يكتمل جيش الإمام، فقتل المتقدمون جميعا، فلما وصل الجيش رأوا أصحابهم صرعى، ولم يروا أحدا من جيش ناصر^(٣).

ثم بعد هذه الحادثة رجع الجيش أدراجه بعد قتل هؤلاء، وعلى أثر ذلك قام محمد بن عثمان الخالدي المعروف بابن حميد، وكان من رجال ناصر بن قطن، فغزا بلاد السر، وكان فيها محمد بن سيف الحوقاني واليا، فعلم سعيد بن خلفان أحد أنصار الإمام، فأناخ ابن حميد بقرب الغبي، فعلم سعيد بن

(١) هو علي بن محمد العبدي، عاش في القرن الحادي عشر الهجري، من أعوان الإمام ناصر، وشارك مع الإمام في حربه ضد ناصر بن قطن الهلالي. انظر الشيباني. سلطان بن مبارك الشباني والجزائري محمد صالح ناصر. معجم أعلام الإباضية. ص ٣٢٠.

^٢ هم طائفة من المؤمنين أقل عددهم أربعة أشخاص، يبايعون أنفسهم لله، فيقاتلون الظلمة والكفرة، وإنما يخرجون من الأوطان، ولا يكون لهم وطن إلا حيث يشهرون سيوفهم، فحيثما أشهروا سيوفهم أتوا الصلاة، وليس لمن بايع على الشراء تراجع إلى أن يلقى الله وحده. انظر الخليلي. أحمد بن حمد بن سليمان. شرح غاية المراد في نظم الاعتقاد. الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م. ص ١١٩، ١٢٠.

(٣) انظر الإزكوي. سرحان بن سعيد. كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة. وزارة التراث والثقافة. سلطنة عمان. الطبعة الثانية: ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م. ج ٣. ص ٢٢٧ وما بعدها.

خلفان وطلب من ابن حميد المواجهة للمفاهمة، فأجابه إلى ذلك من غير أن يأخذ لنفسه أمانا، فتوجهوا في مسجد الشريعة من الغبي، فتكلما في ما بينهم في التجرو على أموال الناس، وقتلهم ونهبهم، ونهب أنعامهم ومواشيهم، فقال سعيد بن خلفان لابن حميد: أما ترد ما أخذت ونهبت من أموال العباد؟ فأعرض ابن حميد عن كلام سعيد بن خلفان بوجهه، ورفض أن يرد شيئا من ذلك، وأظهر تكبره وعناده، ولعله كان مستخفا بسعيد فأمر سعيد بأسره، فأسر وأمر به، فأدخل حصن الغبي، ثم أمر ببقيدته فقيد، ثم ركبوا به إلى الرستاق فأرسل سعيد إلى الإمام يخبره فأجابه أن يجعله في قلعة الرستاق، فحبس بها خمسة أشهر وقيل: سبعة أشهر فمات في حبسه^(١).

ثم بعد ذلك جهز الإمام جيشا، وجعل قائده سعيد بن خلفان، وعضده بعمير بن محمد بن جيفر، فذهبوا قاصدين لأخذ إبل ناصر بن قطن الهلالي، فالتقتهم بنو ياس دون الإبل بموضع يقال له الشعيب قريبا من الظفرة، فوقع بينهم الحرب، وكان قائد بني ياس صقر بن عيسى، فقتل هو وأخوه محمد وجماعة من قومه، فطلب القوم العفو من الوالي، فعفا عنهم، ورجع الجيش، فأمرهم الإمام أن يذهبوا إلى موضع يقال له: دعفس، به إبل لناصر بن قطن، فذهبوا إليها فوجدوها سالمة، فأخذوها ثم إنهم جعلوها أمانة مع عمير بن محمد بن جيفر، وكان له أخ يسمى عليا، فأشار عليه ببعض خدمه أن يدخل بها على ناصر بن قطن، فمضى بها إليه، فلم يزالوا يغزون، حتى خافت منهم البدو والحضر، والتجأت البادية إلى البلدان، ثم أقبل الطاغية المتعنت ناصر غازيا، وأناخ بجيشه صوب الجنوب، ووجه أصحابه لقطع الطريق، فوجه إليه الإمام جيشا، وأمر عليه سيف بن مالك بن أبي العرب وحزما، فبادرت أول زمرة من جيش الإمام على جيش ناصر بن قطن، فقتلوا جميعا، لقتلهم وكثرة عدوهم، وسار ناصر ابن قطن إلى الأحساء، ورجع الجيش، وأظهر الله إمام المسلمين على جميع الباغيين، فأخرجهم من ديارهم، وابتزهم من قرارهم^(٢).

(١) انظر السيابي. عمان عبر التاريخ. ج٤، ٣. ص ١٦٧

(٢) انظر الأزكوي. كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة. ج٣. ص ٢٢٩، ٢٣٠.

المطلب الثاني: مواجهة البرتغاليين.

عندما خضعت البلاد في الداخل للإمام، بعدها بأيام قليلة أرسل الإمام الشيخ مسعود بن رمضان بجيش كبير لمحاربة النصارى المستولين على مسقط ومطرح، فسار الشيخ مسعود بالجيش، فعسكر الجيش عند طوي الرولة^١ من مطرح، فحصل القتال بين المسلمين والمشركون، فنصر الله جيش الإمام، فهدموا من مسقط بروجاً ومباني شامخة، وقتلوا من المشركون خلقاً كثيراً، ثم إن النصارى طلبوا الصلح، فصالحهم الشيخ مسعود بأمر من الإمام على فك ما بأيديهم من مال العمور والشيعة من صحار، فأذعنوا بالطاعة، فأمنهم الشيخ مسعود على ذلك، وأخذ منهم العهد على الوفاء، ورجع هو إلى الإمام بعد ما أخذ عليهم العهود والمواثيق، ومما اشترط عليهم واتفقوا عليه، أن يعطي أولئك النصارى الجزية للإمام كل بداية سنة، وأن يسلموا ممتلكاتهم في صحار، ولا يؤذوا مسلماً إذا وفد على مسقط، وهدم السور الذي يحيط بمسقط، وإعفاء أهل الداخلية من دفع الرسوم الجمركية على وارداتها، وحرية التجارة، وعدم إقامة أية تحصينات خارج حدود مدينة مسقط، وهدم قلعتي قريات وصور، فوافقوا على ذلك^(٢).

ثم بعد فترة بسيطة من توقيع اتفاقية مسقط، جهز الإمام جيشاً؛ لفتح الصير وهي جلفار وأمر عليه علي بن أحمد ومعه من بني عمه من آل يعرب فسار بالجيش إلى جلفار، وكان مالكتها في ذلك الوقت ناصر الدين العجمي فأحاط بهم جيش الإمام، وكان بحصن الصير برج معتزل له جدران متصلة بالحصن، وفيه قوم تقاتل بالليل والنهار، وكانت النصارى في البحر تدفع بمدافعها المسلمين لتبعدهم عن الحصن، فعزم المسلمون الهجوم على البرج فهاجموا عليه ليلاً، وأخذوه قهراً، ومالوا على الحصن فافتتحوه، وجعل فيه قائد الجيش، واليه الشيخ علي بن محمد، وكان يوجد حصن على الساحل للإفرنج، فسار إليه بعض الجيش وفيهم رجال الدهامش، وخميس بن محزم، فدخلوا المكان نهاراً واحتلوا على ما فيه، فامتنع النصارى بالحصن، فحاصروهم المسلمون وبنوا حولهم حصناً فذل المشركون، وطلبوا الصلح على

^١ منطقة تمتد من مطرح إلى سد روي بمسقط العاصمة.

^(٢) انظر ابن رزيق. الفتح المبين، ج٢، ص١٣٠ وما بعدها. وانظر السالمي. التحفة. ج٢. ص١٠. وانظر الرواحي. الدعوة الإسلامية في عمان في عهد اليعاربة. ص١٠٣.

أن يهبطوا من الحصن، فصالحهم القائد، فهبطوا وجعل القائد فيه واليا، ورجع علي بن أحمد بمن معه إلى نزوى ففرح الإمام بالفتح، وفرح المسلمون بقدومه، وبفتح الصير^(١).

ثم بعد ذلك كتب الإمام إلى حافظ بن سنان، وال على لوى ببناء حصن على ساحل بحر صحار، فلمّا وصله كتاب الإمام، بعث ما كتبه الإمام إلى من بقربه من أهل القرى، التي هي من أعمال جلفار وقراها، فأنته قبيلة بني خالد وبني لام والعمور ورجال كثيرة، وكان بصحار قبل ذلك رجال يدعونه إلى ملكها، فاجتمعت معه عساكر كثيرة، فذهب بالجيش إليها، فبات في تلك الليلة التي فيها مضى إليها، وأصبح في صحار، ولم يعلم به أحد من الأعداء، وذلك في آخر يوم من شهر المحرم سنة ثلاث وأربعين بعد الألف، فأناخ بمكان يسمى البدعة من صحار، فهجم المشركون على المسلمين، واشتدت بينهم الحرب، فجعلت النصارى ترمي المسلمين برصاص المدافع من الحصن وبروجه، فانتقل الوالي بالعسكر الذين معه من ذلك المكان إلى مكان آخر مبتعد عن الحصن، وما زالت الحرب مستمرة بينهم، فجاءت رصاصة مدفع، فاخترقت القوم، حتى وصلت إلى مجلس الوالي، فأصابته رجلا من خيار قومه، يسمى راشد بن عبّاد، فقتله، فمات شهيدا، رحمة الله عليهم جميعا، ثم إن الوالي أمر بتأسيس الحصن، كما أمره الإمام فأسس حتى كمل، فنزل فيه الوالي، والحرب قائمة بينه وبين المشركين لم تفت، وعندما علم الإمام ناصر خبر النصارى بمسقط، أنهم نقضوا العهود، ومنعوا الجزية، وتكبروا على عمال الإمام الذي عينهم لمراقبة ذلك، جهز الإمام الجيش وأعد قدر الاستطاعة من العدة لحربهم، فبعث الإمام لهم الشيخ خميس بن سعيد الشقصي، فمضى لهم برجال كثيرين، فلمّا وصل الجيش إلى بوشر، أرسلت النصارى إليه الصلح، فلم يصغ الشيخ لكلامهم، فمضى بمن معه من القوم، فأقام معهم في مطرح، فجاء إليه وجهاء النصارى وكبرائهم يطلبون منه الصلح، فصالحهم على أداء الجزية، ورجع ما أخذوه من مقابض مسقط ومطرح، ورخص للناس المسير إليهم للبيع والشراء بينهم، وكف الأذى عن القتال، حينها رفع الشيخ عنهم السيف، عندما قبلوا ذلك، ورجع إلى الإمام، فلما أخبر الشيخ خميس الإمام بما جرى بينه وبين النصارى، حمّده الإمام، وشكر سعيه^(٢).

(١) انظر السالمي. تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان. ج ٢، ص ١١ وما بعدها. وانظر ابن رزيق. الفتح المبين. ج ٢. ص ١٣٤.

(٢) انظر ابن رزيق. الفتح المبين. ج ٢. ص ١٣٥ وما بعدها.

ثم بعد ذلك، لا يخفى على أحد أن صور من المدن المهمة، لاسيما وهي على الساحل الشرقي، رأى الإمام أن صحار بقيت على جناح الصراع، وقد سد الإمام عليها الثغر الغربي بحافظ بن سيف، وصالح البرتغاليين في مسقط، ولم تدخل صور في هذا الصلح، فأرسل إليها الإمام جيشا بقيادة ابن عمه سلطان بن سيف بن مالك، فنعدّها خرج هذا القائد البطل الهمام يقود جيشا عمانيا؛ لتطهير البلاد من معرة الأجنبي، ولما وصل صور أحاط بالحصن، ولم يطل عهد حصاره، فسلم له الأمر وقبضه الجيش وخضع له البرتغاليون له خضوعا كليا وخضعوا له في صور تماما، وهذا كله بفضل الله^(١).

وخضعت البلاد في هذا الوقت بعدما تمكن الإمام بفضل الله من قمع الطغاة المفسدين في الأرض، وانتشر العدل في عمان، فعمّ البدو والحضر، ولم يبقَ إلا طائفة من النصارى محتضنين في سور مسقط، بعد أن نصب لهم الإمام الحرب، حتى وهنوا وضعفوا، وهى سلطانهم، وتفرق أعوانهم، وكاد الموت يأتي على أكثرهم، ولم يتم الأمر ذلك، حيث إن الإمام وافته المنية، فتوفاه الله وجميع أهل الخير راضون عنه^(٢). ولم يتوقف الأمر بوفاة الإمام، وإنما كما يقال لكل زمان رجال، فجاء بعده ابن عمه الإمام سلطان ابن سيف كما ذكرت سابقا، وسيأتي ذكر صنيعه بإذن الله مفصلا.

(١) انظر السيابي. عمان عبر التاريخ. ج ٣، ٤. ص ١٦٤.

(٢) انظر الأركوي. كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة. ج ٣. ص ٢٢٩، ٢٣٠.

المبحث الثاني: الجهود العسكرية عند الإمام سلطان بن سيف.

المطلب الأول: تطهير عمان من البرتغاليين.

كما نعلم أنه قبل مبايعة الإمام سلطان بن سيف، كان له دور بارز مع الإمام ناصر بن مرشد، وبعد وفاة الإمام ناصر بويع الإمام سلطان بن سيف مباشرة في نفس اليوم الذي توفي فيه الإمام ناصر، عندما تولى الإمام سلطان بن سيف زمام الحكم، عزم مباشرة على إكمال ما بدأ به ابن عمه الإمام ناصر بتحرير مسقط ومطرح من النصارى وولاتهم من الهنود، فسار يقود الجيش إليهم بنفسه^(١).

في رأيي أن هذا الأمر الذي قام به الإمام سلطان بن سيف بعد توليه زمام الإمامة بالتوجه وعدم التأخر عن مواجهة العدو البرتغالي كان هو عين الصواب؛ لأنه لو تأخر قليلا لربما يأتي مدد إلى العدو ويهجموا على الإمام وتذهب كل الإنجازات التي بذلها الإمام ناصر، فالحمد لله الذي يسر هذا الأمر للإمام.

عندما توجه إليهم الإمام عسكر بجيشه بطوي الرّولة من مطرح إلى سد روي، ومعه جيش كبير، فكان الجيش يهجم على العدو في الصباح والمساء، وكان جنود الإمام مستعدين لحربهم، ولم يظهروا لهم الجبن، وقد حاصروا حصني مسقط وبروجها وسورها وجبالها، وقد حدّ تقدم هجوم جنود الإمام للعدو بطوي الرّولة من مسقط؛ لأن النصارى بنوا على رؤوس جبال مسقط بروجاً، وجعلوا فيها رجالهم متربصين بجنود الإمام، من أهل البنادق، فكل ما اقترب أحد من جند الإمام رموه برصاص البنادق، وقد وضعوا في الهواء سلسلة من حديد، عليها سور من حديد من البرج المسمى الآن برج والدي محمد ابن رزيق إلى البرج المسمى الآن المربع، فمن يقترب من جيش الإمام إلى تلك السلسلة يطلقون عليهم بالبنادق، واستولى النصارى على الجبل المسمى السعالي، من أوله إلى آخره، واستولوا على جبل المكلا أيضاً من أوله إلى آخره، وصوت البنادق لا تتوقف خاصة عندما يدخل الليل، وحراسهم وجواسيسهم يترددون على النصارى بالأخبار بالليل والنهار، فكان الوضع صعباً للجانبين، فالنصارى لم يقدروا على الخروج من الحصن وعدم إخراج الإمام من مطرح، ولا قدرة للإمام بالدخول هو وجنده مسقط على

(١) انظر ابن رزيق. الفتح المبين. ج ٢. ص ١٤٨.

النصارى، بل كان جند الإمام يتربصون لهم، فيقتلون من يروونه قرب الرّأوية في الأرض، ويقتلون من يروونه سائحا في المكان الذي يسمى حلّة العجم، والبحرانة، وهما حيّان من أحياء مسقط، وكان جيش الإمام ينادون من بالسور من النصارى، ناجزون، بارزون، ويعيرونهم طويلا، بأن الشجعان لا يحتفون خلف الحصون، ولم يخرج إليهم أحد، لعلمهم أنهم لا يستطيعون المبارزة بالسيف، ولا بالرمح، فطالت الحرب بينهم على هذا الوضع^(١).

بما أن هذه الأوضاع التي كانت سائدة بين الخصمين فلا أدري ما منع الإمام والجنود أن يقوموا بإنشاء الأنفاق تحت الأرض ويهجموا عليهم بغته في يوم سكرهم، أو أنهم بحثوا عن طريقة أخرى تناسب ذلك الوقت خلال تلك الفترة التي قضوها أمام العدو، ولكن الحمد لله الذي وفق إمام المسلمين من طرد البرتغاليين كما سيأتي.

بما أن الأوضاع لم تتغير من يوم وصول الجيش إلى موقع العدو كاد جيش الإمام أن تقل همتهم لمواجهة العدو، لعدم القدرة على الدخول عليهم، حتى حدثت القصة المشهورة بين أمير النصارى، نروتم وقيل: إن البنت التي كان يطلبها أمير النصارى هي ابنت سكييلة وليست ابنت نروتم، وكان الشقاق في المصاهرة والتزويج، وذلك أن نروتم كانت له ابنة جميلة الصورة، وقد خطبها منه النصراني، وكان أميرهم آن ذاك هو فرفة، وقيل الفريرة، فما رضي نروتم أن يزوجه بابنته، وقد بذل النصراني مالا عظيما، فأبى عن ذلك، فكان جوابه لرسول الفريرة، إنّ هذا الأمر الذي يريده مني السلطان، لا يناسبني ولا يناسبه؛ لأنه هو نصراني المذهب، وأنا على غير مذهبه، فهو وأهل مذهبه يخللون شرب الخمر وأكل لحوم البقر، ولم يحدث لا في القديم ولا في الجديد، أنّ نصرانيا تزوج منا، ولا نحن تزوجنا منهم، فقال له رسول فريرة، لا ينبغي لك أن تخالف الأمير، وهو قد أحسن إليك، وأعطاك مكانة لم يعطها غيرك، فعندما رأى رسول فريرة أن نروتم يرفض الأمر قال له: إن لم تزوجه طوعا، زوجته بها غصبا، وفعل بك وبأهلك ما لم يفعل به بأحد من قبلك، فأطعه، ولا تخالفه، وأكثر عليه من هذا الكلام، فلمّا رأى نروتم أنه لا ينقذه شيء من شر الفريرة إلا الحيلة، لين للرسول الجانب، وموّه له الطاعة، وقال له: امضي أمامي إليه، فندما وصل إليه، قال له نروتم: اعلم أيها الأمير، إن الأمر الذي جاءني رسولك به، هو

(١) انظر ابن رزيق. الفتح المبين. ج ٢. ص ٤٨٨. ١٤٩٠. وانظر السلمي. تحفة الأعيان. ج ٢. ص ٦٩٠. ٧٠.

عليّ يشقُّ، لاختلاف المذهب بيننا وبينكم، وعدم العادة، فإذا كان لابدَّ من ذلك، فأمهلني إلى سنة، حتى أجهزها لك، وأحلي ابنتي الحلّي التي تلبسها نساء الملوك، وهذه الحلّي لا يقدر على نظمها إلا بعض صواغ بلدة ناجنة، ويحتاج لها وقت حتى تأتي بشكل جيد، فالأمر الأول الذي قام به نروتم أنه قال للأمير أن سلطان عمان يحاصرك أشد الحصر، وينتظر الفرصة، فإذا أقلوا عليه السلام، فلا أظنهم أنهم يبلغون فيك مرادهم، فلا يبقى معك إلا الحصنان، الغربي والشرقي، فيحصرونك أشد الحصار، وتنقطع عنك المؤونة، لاسيما الماء العذب، فأنت تعلم أن الماء الذي عندك في برك الحصنين قديم، وتسبح به الديدان المضرة بالأجسام، فلا تستطيع الصبر أنت وقومك عن الماء، والأمر الثاني أن البارود والزاد الذي في الحصنين صارا قديمين، فالأولى أن تنزف الماء منه، وتغسل البرك قبل الحصار بماء جديد عذب، وتخرج البارود منهم، فتصلحه بالدقّ، وتخرج منه الطعم القديم، وتدخل بدله الجديد، حتى لا يختلط الطعم الجديد بالقديم فيدخل دود الطعم القديم في الجديد، فيفسده، وحين إذ تحصل منه الأمراض والأسقام الموصلة إلى الموت، فأكثر نروتم على الأمير من هذا الكلام، حتى سمع كلامه، وانطوت عليه الحيلة، وتخيلت له هذه الخديعة أنها نصيحة، فأمهله الأمير أمر التزويج كما طلب سنة، فلما أخرج ما في الحصنين من الماء والزاد والبارود ولم يبق شيئا^(١).

فمن يرى العدو يحسبه على كلمة رجل واحد وقلب واحد بينما هم أعداء في ما بينهم وهذا الأمر يذكرنا بقول ملك الملوك قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يُقْنِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قَرْيٍ مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (الحشر: ١٤)

وعندما انطوت الخديعة على الأمير حينها كتب نروتم إلى الإمام سلطان بن سيف، على أن يسرع بدخول مسقط، وأخبر نروتم الإمام بسبب صنعه هذا وهي قصة رفضه لتزويج ابنته منهم، ومما جاء في معنى كلامه أنه يخبر الإمام عما فعله بالماء والزاد والبارود، وأن البارود الذي في الحصن جديد صب

(١) انظر ابن رزيق. الفتح المبين. ج ٢. ص ١٥٠. ١٥٢. وانظر السلمي. تحفة الأعيان. ج ٢. ص ٧٢

عليه الخل فلا يجديهم بشيء، وحدد له يوما الأحد؛ لأنه يوم عيد معهم يتركون السلاح، ويشربون الخمر، فلما وصل خبر نروتم إلى الإمام وأن الإمام أجابه بامتنال الأمر^(١).

في رأيي أن هذا الأمر كان مخاطرة من الإمام على الموافقة؛ لأن الذي أرسل إليه إنما يعد عدوا للإمام، فما يُدري الإمام من صدقه ربما كانت خديعة، ولكن لم يكن أمام الإمام حل آخر لمواجهة العدو فقبل منه بعدما أحس في نفسه منه الصدق.

بعدما أجاب الإمام نروتم أخفي الخبر عن الخاصة والعامة^(٢)، (عندها كاد نروتم من السرور أن يطير إلى الإمام بلا جناح)، فلما كان يوم الأحد من الميعاد، صلى الإمام بالقوم صلاة الضحى وصلاة الحرب بعد صلاة الضحى، وسأل الله له وللمسلمين النصر والفتح المبين على المشركين، فنهض بقومه جميعا، وأسرع الوثبة، وكانت في اليوم العاشر من شهر رجب سنة ١٠٥٩ هـ / ١٦٤٩ م، فلما بلغ الجيش رأس عقبة الوادي الكبير من جبال مسقط أخذ الإمام منهم البيعة على التسور للصور والتوجه إلى الحصنين، وسائر المقابض التي بيد النصارى، من بداية مسقط إلى مطرح، فبايعوه على ذلك، فلما أخذ البيعة منهم، مشى أمامهم، وهم يكبرون، ويسألون الله النصر والفتح المبين، حتى وصلوا إلى السلسلة المنصوبة، جعلوا يضربون من في سورها برصاص البندقية والحجارة، ولم يلتف إليهم أحد بضرب البنادق، ولا برمي الحجارة؛ لتسكعهم في ملذات الدنيا، وعندما وصلوا إلى السور ألقوا عليه السلام، فملكوا أبواب السور، ولم يكن من النصارى غير السكارى، لا تصل أيديهم لقبض السلاح، فضلا عن الضرب والطعن به، حتى جعل المسلمين المشركين صرعى وجرحى، عندها انقسم جيش الإمام إلى قسمين منهم من توجه إلى الحصن الغربي ومنهم من توجه إلى الحصن الشرقي، فأقل النصارى على المسلمين المدافع فلم يشعروا إلا أن البارود خانهم، حتى وصل جند الإمام إلى عقر دارهم فهزموهم هزيمة لم يسبق لها مثيل عندهم، فملك الإمام الحصنين والصور، وسائر المقابض، إلا البرج المسمى كاسم أميره كبريته، وكان كبريته من شجعان النصارى، فظل يحارب الإمام وقومه، عندما يرى الفرصة يهجم هو وعدة من رجاله، فهجم ذات يوم على القابضين على الجزيرة، فخرجوا إليه، فغير الوجهة عنهم، فتبعوه، عند سوق البز،

(١) انظر ابن رزيق. الفتح المبين. ج ٢. ص ١٥٣.

(٢) انظر ابن رزيق. الفتح المبين. ج ٢. ص ١٥٣-١٥٤. وانظر السلمي. تحفة الأعيان. ج ٢. ص ٧٤.

فوقف وقفة شديدة، فأشروعوا فيه الذين باعوا أنفسهم لله بالرماح، والبيض الصفاح، فقتلوه ومن معه جميعا، وأراح الله المسلمين منه، ومن أصحابه المشركين، ثم أمر الإمام بعض جنده التوجه إلى القابضين على حصن مطرح من النصارى، فما استتم كلامه إلا وأميرهم قد أقبل إلى الإمام، يريد منه الأمان، فأمنه الإمام على قبض الحصن منه، فسلمه إلى الإمام، ونهى عن قتله وقتل أصحابه، وما بقي للإمام منازع من النصارى^(١).

نرى من الإمام العزم على تصفية العدو بالكامل وهذا إن دل فإنما يدل على حنكته في السياسة فلو لم يقيم الإمام بتصفية البلاد من العدو لكان الرجوع إليها سهل فيكون العدو جاء من الخارج وحينها يتظاهر من في الداخل أنه مع الإمام فعندما يشتد الحرب يدورون على جيش الإمام ومن معه، فالإمام لم يجعل لهم فرصة للمحاولة على البلاد من الرجوع إليها، فهذا يدل على ذكاء الإمام في الأمور العسكرية.

ولم يتبق للإمام من منازع في البر إلا أهل مركبين عظيمين من مراكبهم في البحر، فمضى أحدهما إلى مطرح، فأرسي السفينة بعيدا عن الحصن، وجعل يضرب بالمدافع البلاد والحصن، فلم يصبه رصاص مدفعه، لابتعاده منه، والسفينة الثانية جعلت تضرب الرقعة الداخلية من مسقط، فبلغ رصاص مدفعه أقصى بلدة سداب^٢، فلما أكثر النصارى الأذى، أمر الإمام المسلمين بالهجوم عليهم، فاعتذروا له، وقالوا: لا يهاجم المركب العظيم إلا المركب العظيم مثله، فقال له صاحب المغيوث: أيها الإمام، إن الأرواح نفيسة، لا تباع إلا بالمال الجزيل، فعليك المال، وعليّ الرجال، فأجابه الإمام على ذلك، فذهب صاحب المغيوث إلى عمان، فانتخب منها مائة رجل من الشجعان، فلما أقبل بهم إليه، وأجزل لهم المال، هجموا على المركبتين التابعتين للنصارى على سفن صغيرة، فنصرهم الله على الكفار، فقتلوا كل من فيهما من المشركين، ثم بعد ذلك ولّى الإمام على مسقط سيف بن بلعرب اليعربي، وترك معه عساكر جمّة وأمره بالحزم، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والعدل بين الناس، ورفع الجزية عن نروتم وأهل بيته، جزاء إعانته له، وإلى سائر المسلمين، وعندها رجع الإمام سلطان بن سيف إلى نزوى مكللا

(١) انظر ابن رزيق. الفتح المبين. ج ٢. ص ١٤٨. ١٥٤. وانظر السالمي. تحفة الأعيان. ج ٢. ص ٧٢٠.

٢ سداب: قرية كانت في ذلك اليوم تقع جنوب مدينة مسقط، وما زالت موجودة إلى يومنا هذا.

بالنصر، والفتح الذي أعز الله به المسلمين، وأذل المشركين، في هذا الوقت كانت عمان خالصة من أولها إلى آخرها لحكم الإمام سلطان بن سيف، والعزة لله جميعاً^(١).

المطلب الثاني: ملاحقة البرتغاليين في شرقي إفريقيا.

عندما خلصت عمان من المشركين البرتغاليين وغيرهم أمر الإمام بتطهير المناطق القريبة من ساحلها، سواحل الخليج وسواحل الهند وسواحل شرقي إفريقيا، مما جعلهم يعدون قوة بحرية قبل بداية الحملة التطهيرية من البرتغاليين، وكانت أولى المناطق التي قرر الإمام سلطان بن سيف مهاجمتها بهدف تطهيرها من البرتغاليين هي سواحل شرقي إفريقيا، لما كانت بين عرب عُمان وعرب إفريقيا، وسبب العلاقة يعود ذلك إلى القرن الأول الهجري، وذلك بعدما هاجر سعيد وسليمان ابني عباد بن عبد بن الجلندي، بعدما فشلوا في مواجهة جيش الحجاج بن يوسف الثقفي عامل عبد الملك بن مروان على العراق، ففروا هناك حتى وافتهم المنية، ثم أعقب ذلك هجرات قبائل عمانية عديدة إلى شرقي إفريقيا عبر القرن، فظهرت أسر عمانية حكمت بعض المناطق في الشرق الإفريقي، وبسببه زاد الوجود العماني في تلك المناطق، من هذا الجانب جاء اهتمام الإمام سلطان بن سيف بتلك المناطق^(٢).

عندما وصلت أنباء تحرير الساحل العماني عام ١٠٦٠هـ/١٦٥٠م وانتزاعه من أيدي البرتغاليين، إلى عرب شرقي إفريقيا بث في أنفسهم الحماس، وتجدد لديهم الحماس، والأمل في الخلاص من السيطرة البرتغالية، وجاءت طلبات الإغاثة من عرب شرقي إفريقيا لنجدتهم ومساعدتهم من التخلص من البرتغاليين، فلما كان الإمام حريصاً على التعقب من زعزعة الوجود البرتغالي في شرق إفريقيا، فقد استجاب لطلبهم بترحاب، وأرسل في عام ١٠٦٢هـ/١٦٥٢م أسطولاً صغيراً من مسقط لمساعدة

^(١) انظر ابن رزيق. الفتح المبين. ج ٢. ص ١٥٧. وانظر السالمي. تحفة الأعيان. ج ٢. ص ٧٢٧.

^(٢) انظر الأغبري. عمان في عهد البعاري. ص ١٢٧. وانظر عن ولكنسن. ج. سي. بنو الجلندي في عمان. وزارة التراث القومي والثقافة. سلطنة عمان. الطبعة الثالثة. ١٤١٥هـ _ ١٩٩٤م. ص ١٧.

شعب شرقي إفريقيا في جهودهم لطرد البرتغاليين، فتوجه الأسطول تلبية لنداء من بمبا^١ وزنجبار^٢ واتوندو، حيث قام بالمهمة ودمر المستوطنة البرتغالية في زنجبار، الأمر الذي شجع السكان على الاستمرار في الثورة على البرتغاليين وتقديم المساعدة للحملة العمانية، فأصبح البرتغاليون في وضع خطر بسبب التعاون الكبير بين السكان في الداخل والحملة العمانية من الخارج، إلا أن ذلك لم يدم طويلاً، حيث تنبه البرتغاليون إلى خطورة الأمر، فأرسلت قوة بقيادة كابريرا، فقام هذا القائد بمهاجمة سكان جزيرتي بمبا وزنجبار انتقاماً على تعاونهم مع العمانيين، ورغم ذلك لم يتمكن البرتغاليون من السيطرة على الجزيرتين سيطرة تامة، بحكم مقاومة السكان العنيفة، إضافة إلى أن النجدة العمانية لم تنقطع عن شرقي إفريقيا^(٣).

ثم بعد ذلك بعث الإمام حملة إلى بته التي تعرضت هي الأخرى للحكم البرتغالي القمعي، ورغم مقاومة أهلها إلا أنهم لم يتمكنوا من دفع الخطر عنهم، وعندها تقدموا بطلب النجدة من إمام عمان سلطان بن سيف، أرسل قوة لتخليصها من البرتغاليين، ومما جرى في هذه المعركة مما استنتجه الذين حللوا القصيدة الشعرية التي قالها أحد ولاة الإمام سلطان بن سيف، وهو الشيخ محمد بن مسعود الصارمي^(٤)، فقد ترك لنا في هذه القصيدة وصفاً للمعركة، وهو أحد الذين شاركوا في هذه المعركة، وتبلغ هذه القصيدة ٤١ بيتاً، والتي يستفاد منها أن جيش الإمام وصل إلى مدينة بته وقت الضحى، فنزل جيش الإمام بميدان فسيح من أرض بته، فقام الشيخ يشد من عضد جنوده، ويصبرهم على لقاء العدو،

^١ مدينة بمبا: تقع مدينة بمبا على مسافة خمسين كم شرق تنزانيا في قارة إفريقيا، ضمن دول الأرخبيل. انظر موقع عمان الجغرافي ص ٣٧.

^٢ زنجبار: توقع في الساحل الإفريقي من الشمال إلى الجنوب خاضعت للاحتلال البرتغالي حوالي ٢٥٠ سنة. انظر موقع عمان الجغرافي ص ٣٩.

^(٣) انظر الأغبري. عمان في عهد اليعاربة. ص ١٣٠ وما بعدها، وانظر عن المغربي. سعيد بن علي. جبهة الأخبار في تاريخ زنجبار. وزارة التراث القومي. سلطنة عمان. الطبعة الثانية. ص ١٩٣، ١٩٢. والقاسمي. سلطان بن محمد. تقسيم الإمبراطورية العمانية. مؤسسة البيان. دبي. الإمارات العربية المتحدة. الطبعة الثانية. ص ٢٢.

^(٤) هو محمد بن مسعود بن سعيد الصارمي؛ المعروف بـ "صاحب عين سواد" (حي: ١٠٨١هـ/ ١٦٧٠م)، وال فقيه، وقائد شاعر، عاش في القرن الحادي عشر الهجري، من بلدة سيما من أعمال إزكي، كان والياً للإمام سلطان بن سيف بن مالك، وكان قائد الحملة العمانية في عهده ضد البرتغاليين في واقعة بته من أرض الشرق الأفريقي، من آثاره العلمية والأدبية: أرجوزة في الصرف، وأرجوزة في الزكاة، وقصيدة في فتح بته. انظر السعدي. معجم شعراء الإباضية الجزاء الأول والثاني. ص ٣٥١.

ويذكرهم بأنهم جاءوا مجاهدين في سبيل الله، ويطمئنهم بأن الله معهم وأنه سينصرهم بإذنه، وهكذا كان يشحذ الهمم، واقد امتثل العمانيون لأوامر قائدهم ولم يقصروا في الجهاد، وهجموا على البرتغاليين، واقتحموا السور الذي يحيط بالمدينة، وبارزوا البرتغاليون وجها لوجه، واشتدت الحرب وكثر القتل في البرتغاليين حتى انهزموا ولاذوا بالفرار، وأذل الله الشرك والمشركين، وانتصر العمانيون على أعدائهم^(١).

ومن أراد أن يرجع إلى القصيدة كاملة يجدها في كتاب النمير الجزء السابع^(٢).

وقد ذكر لنا صاحب كتاب عمان في عهد اليعاربة ما تركه لنا الشيخ خلف بن سنان الغافري^(٣)، وهو أحد الفقهاء والشعراء الذين عملوا في إمامة الإمام سلطان بن سيف، قصيدة في مدح الجيش العماني، وذكر لنا فيها عدد الشراة الذين شاركوا في معركة بته، فقد ذكر أنهم مئات في حين أن البرتغاليين كانوا ألوفا، وهذه إشارة إلى الفرق الشاسع في العدد بين القوتين، ثم ذكر أن الجيش وصل الجزيرة وقت الضحى، فدخلوا في حرب مع البرتغاليين، وكانت حربا طاحنة شديدة عليهم، حتى نصرهم الله من العدو، تحت قيادة القائد الباسل الشيخ محمد بن مسعود الذي دفع بجنوده نحو المعركة بمعنويات عالية وهم قوية^(٤).

(١) انظر الأغبري. عمان في عهد اليعاربة. ص ١٣٢، ١٣١. نقلا عن المغيري. جبهة الأخبار في تاريخ زنجبار. ص ١٩٧، ١٩٨. والسالمي. تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان. ج ٢. ص ٧٨، ٨٠. والبطاشي. سيف بن حمود إتخاف الأعيان. ص ٤٧٨، ٤٧٧.

(٢) انظر السيفي. محمد بن عبدالله بن سعيد السيفي. النمير روايات وقصص. الطبعة الأولى ١٤٣٦ هـ / ٢٠١٥ م. الجزء السابع. ص ٢٢٧.

(٣) هو خلف بن سنان بن خلفان بن عثيم الغافري، (حي: ١١٢٧ هـ / ١٧١٥ م)، قاض وال، عالم فقيه، وأديب شاعر، عاش في القرن الحادي عشر وأوائل القرن الثاني عشر الهجري؛ من بلدة المعمور، كان واليا وقاضيا للإمام سلطان بن سيف بن مالك، من آثاره التي تركها: مجموعة من الخطب والمراسلات، ومقدمة أدبية بلغية، وأجوبة كثيرة في الأثر، كان حيا إلى سنة ١١٢٧ هـ / ١٧١٥ م؛ حيث رثى في هذا التاريخ المذكور الشيخ ناصر بن خميس الحمراشدي. انظر السعدي. معجم الفقهاء والمتكلمين، الجزء الأول والثاني. ص ١٨١.

(٤) انظر البطاشي. سيف بن حمود. إيقاظ الوسنان في شعر وترجمة الشيخ خلف بن سنان. سلطنة عمان الطبعة الأولى: ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م. ص ٧٩، ٨٠. وانظر الأغبري. عمان في عهد اليعاربة. ص ١٣٢، ١٣٣.

ثم بعد ذلك وجه الإمام في عام ١٠٦٥هـ/١٦٥٥م حملة أخرى لنجدة مباسة^١، حيث كان أهالي مباسة يقومون بثورات على الموانئ والمراكز ضد السيطرة البرتغالية، ولكن لم يتمكنوا من الخلاص من البرتغاليين، حتى أرسلوا استغاثة إلى الإمام سلطان بن سيف، وقد لبى الإمام طلبهم بسرعة فائقة، فقد أبحر أسطول عماني تلبية لأهالي مباسة خاصة، لتخليصهم من بطش البرتغاليين، لعدم قدرتهم على تحمل ظلم البرتغاليين، إلا أن هذه الحملة لم توفق في السيطرة على مباسة، وأجبر الجيش على العودة إلى عمان، فأزداد بالتالي بطش البرتغاليين على الأهالي ردا على مساعدتهم للعمانيين، وزادت الثورات ضد الحكم الغاشم البرتغالي، وأرسل الأهالي في سنة ١٠٦٨هـ/١٦٥٨م إلى الإمام سلطان بن سيف مرة أخرى يطلبون النجدة، فلبى الإمام طلب أهل مباسة مرة أخرى، إذ إنه في هذه المرة أرسل حملة كبيرة لتطهير المناطق المحتلة، وفي طريقهم إلى مباسة استولت الحملة على منطقة فاذا ومالندي ويقعان على أرخبيل لامو^٢؛ لأنهما كانتا تتعاونان مع البرتغاليين، ثم واصل الجيش مسيره إلى مباسة، ولم توفق قوات الإمام في إخراج البرتغاليين من الحصن إلا بعد جهاد طويل، فقد فرض العمانيون الحصار على الحصن خمس سنوات منذ سنة ١٠٦٨هـ/١٦٥٨م إلى ١٠٧٤هـ/١٦٦٣م، وبعض الباحثين يروون أن الحصار كان بين ١٠٧١هـ/١٦٦٠م إلى ١٠٧٦هـ/١٦٦٥م، إلا أن جيش الإمام لم يتمكن من فتح قلعة يسوع الحصينة، وكان ذلك سببا لرجوع البرتغاليين والانتقام من سكان المدينة، بسبب الثورات القائمة ضدهم وبسبب تعاون السكان مع العمانيين، ولم تلبث مباسة زمنا طويلا إلا وقد احتلها البرتغاليون، وقد بقيت في أيديهم حتى زلزمهم الإمام سيف بن سلطان (قيد الأرض) ابن عم الإمام سلطان بن سيف، فأنتهى بذلك حكم البرتغاليين في مباسة في سنة ١١٠٨هـ/١٦٩٦م^(٣).

عندما باء تحرير مباسة بالفشل، وجه الإمام سلطان بن سيف حملة عام ١٠٧٦هـ/١٦٦٥م لتحرير الصومال، بعدما تلقى الإمام رسالة سرية من الأهالي يشرحون فيها ما يعانونه من استعمار

^١ مباسة: أكبر مدينة في كينيا، تقع مدينة مباسة تقريبا على خط الاستواء، وتطل على المحيط الهندي. انظر موقع عمان الجغرافي ص ٣٩.

^٢ لامو بالسواحلية. هو أرخبيل في كينيا، يقع في المحيط الهندي بقرب الساحل الشمالي لكينيا. انظر موقع عمان الجغرافي ص ٤٠.

^(٣) انظر وزارة التراث القومي والثقافة. سلطنة عمان عمان وأمجادها البحرية. الطبعة الثالثة. ص ٤٧. وانظر المغيري جبهة الأخبار في تاريخ زنجبار. ص ١٩٣، ١٩٤. وانظر الأغبري. عمان في عهد اليعاربة. ص ١٣٣، ١٣٤.

البرتغاليين، يطلبون منه أن يمد لهم يد العون؛ لتخليصهم من الاحتلال وتحرير أرضهم وتراثهم، وبعدها رجع قائد الجيش إلى عمان مسرور الحال، وأخبر الإمام عما حصل وعن نهاية القتال مع البرتغاليين، وارتفع الظلم والفساد، وكان ذلك في سنة ١٠٧٦هـ/ ١٦٦٥م^(١).

بعدهما تحقق للإمام النصر والفتح المبين في الصومال، فقرر أن يبعث جيشا قويا إلى موزنيق^٢ لطردهم، وهي المحاولة الأولى التي تذكرها المصادر عن جهود العمانيين في طرد البرتغاليين، حيث إن الحملات العمانية المتتالية لم تتعد كلوة^٣ إلا هذه المرة، وكان ذلك في سنة ١٠٨٠هـ/ ١٦٦٩م، وكان هدف الإمام هذه المرة هو تخفيف الضغط على المراكز العربية والتوغل حتى موزنيق في محاولة جادة للاستيلاء على حصونها القوية، واستئصال الوجود البرتغالي من شرقي إفريقيا بأسرها، وعندما وصل الأسطول العماني إلى موزنيق فرض الحصار حول حصونها القوية، إلا أنها صمدت أمام الحصار، فرفع الأسطول العماني الحصار عنهم بعد صمود العدو على الحصار، غير أن الحملة قد حققت أهدافها في تخفيف الضغط على المدن الساحلية الأخرى، وعملت على تشتيت الأسطول البرتغالي، بعد انتهاء هذه الحملة توقفت حملات الإمام سيف بن سلطان الموجهة إلى شرقي إفريقيا، بعدما لقنوا البرتغاليين دروسا قاسية، مع أن حملات الإمام سلطان بن سيف لم تتمكن من طرد البرتغاليين من شرقي إفريقيا نهائيا، إلا أنها حققت أغلب أهدافها، فقد حطمت الأسطول البرتغالي في مواقع متعددة وكبدتهم خسائر فادحة، ومهددة الطريق لتصفية الوجود البرتغالي من شرقي إفريقيا لمن بعده من الأئمة العدول في عمان، والعامل الذي ساعد الإمام على تحقيق هذه الأهداف في مطاردة البرتغاليين في تلك المناطق هو الوجود العماني في تلك البلاد كما أشرنا سابقا، فكان ذلك عاملا مشجعا لتقديم المساعدة لتخليصهم من البرتغاليين بحكم الدين والنسب، ومما ساعد في تحقيق هذه الأهداف أن الإمام سلطان بن سيف قد امتلك أسطولا بحريا قويا، استطاع من خلاله النفوذ به عبر البحار، فأزعج به السفن البرتغالية التي

(١) انظر شبلي. أحمد. موسوعة التاريخ والحضارة الإسلامية. مكتبة النهضة المصرية. القاهرة. الطبعة. ١٩٨٣م. ج٦. ص٦٦٧. وانظر الأغبري. عمان في عهد اليعاربة. ص١٣٥.

^٢ مدينة موزنيق: تقع بالجنوب الشرقي من الدولة الإفريقية، حيث إنه يعبر حدودها المحيط الهندي من الجهة الشرقية، ومن الجهة الشمالية تجاور تنزانيا. انظر موقع عمان الجغرافي ص٣٦.

^٣ موقع في الساحل الإفريقي من الشمال إلى الجنوب خاضعة للاحتلال البرتغالي حوالي ٢٥٠ سنة. انظر موقع عمان الجغرافي ص٣٩.

كانت تخشى مواجهته، إضافة إلى ذلك فإن العمانيين كانوا مندفعين للحرب بحب الجهاد الإسلامي، وكانوا يحرصون على أمرين مهمين وهما إما النصر أو الشهادة^(١).

المطلب الثالث: المواجهات ضد البرتغاليين في المحيط الهندي والخليج العربي.

عندما كان الإمام يطارد البرتغاليين في شرقي إفريقيا، وكان في نفس الوقت يطارد البرتغاليين في الخليج العربي والمحيط الهندي، وكان اهتمام الإمام بهذه المناطق لعدة أسباب منها: أن هذه المناطق تعتبر مناطق أساسية لتجارة العمانيين خاصة المحيط الهندي، والأمر الثاني كثرة المراكز البرتغالية في الساحل الغربي للهند، نظرا لوجود التجارة، وأن البرتغاليين يريدون التحكم على كل مركز تجاري ليحتكروا التجارة، والأمر الثالث وهو الأهم وهو وجود عاصمة البرتغاليين في الشرق على الساحل الهندي، حيث كانت مدينة جوا^٢ هي العاصمة لهم في الشرق التي تقع على الساحل الهندي، بالتالي كانت مركز قوة البرتغاليين، ومكان تواجد الأسطول البرتغالي الأساسي في المنطقة، فعلى الإمام أن يركز على الرأس، ألا وهو الساحل الغربي للهند ولاسيما عاصمتهم جوا^٣ وهو الأمر الذي جعل البحرية العمانية تواصل جهودها بين وقت وآخر في نهك الجسد البرتغالي بعمليات الضرب المتواصلة عليهم^(٤).

كانت أولى الحملات العسكرية العمانية الموجهة إلى الهند قد انطلقت عام ١٠٦٥هـ / ١٦٥٥م إلى بومباي^٥، حيث قام الأسطول العماني بقصف المدينة، فدمر الحامية البرتغالية فيها التي لم تقو على المواجهة، الأمر الذي شجع الإمام على إرسال حماة ثانية إلى بومبي في عام ١٠٧٢هـ / ١٦٦١م، ونجحت

(١) انظر علي. عبد النبي علي أحمد. الصراع العماني البرتغالي في شرق إفريقيا (١٦٥٠-١٧٣٠م). جامعة القاهرة. معهد البحوث والدراسات الإفريقية. قسم التاريخ. وانظر الأغبري. عمان في عهد اليعاربة. ص ١٣٦، ١٣٧.

^٢ مدينة جوا: تقع في الجنوب الغربي من الهند، فهي تشرف مباشرة على مياه المحيط الهندي، والذي يحيطها من جوانب عديدة. انظر موقع عمان الجغرافي ص ٤٤.

(٤) انظر التوي. أحمد بن حميد. المقاومة العمانية للوجود البرتغالي في الخليج العربي والمحيط الهندي (١٥٠٧-١٦٩٨م). دار النشر بيت الغشام للصحافة والنسر والترجمة والإعلان. سلطنة عمان. مسقط. الطبعة الأولى: ٢٠١٧م. ص ٢٥٩، ٢٥٨.

^٥ مدينة مومباي: تقع في الهند وتحديدا في الولاية المدعوة باسم ماهاراشترا، وتقع مدينة مومباي على بحر العرب، وتقع على السواحل التي تقابل سلطنة عمان، ويفصل بينهما بحر العرب. انظر الشبكة المعلوماتية. انظر موقع عمان الجغرافي ص ٤٢.

أيضا في تحقيق أهدافها، ولم يستطع البرتغاليون اتخاذ أي إجراءات لاستعادة موقعهم، وهذا يدل على الضعف التي تمر به القوى البرتغالية، وهذا الأمر الذي أدى إلى تدهور مركزهم في الهند، ونتيجة لذلك فإن البرتغاليين لم يجرؤا على الرد والانتقام إلا عام ١٠٧٧هـ / ١٦٦٦م عندما وصل الحاكم البرتغالي الجديد جانوس داكوتها الذي حاول أن يبحث عن وسيلة للانتقام من العمانيين، فجهز أسطولا من ثمان سفن كبيرة و ٤٠ إلى ٦٠ سفينة صغيرة وأرسل هذا الأسطول إلى مسقط في أواخر عام ١٠٧٨هـ / ١٦٦٧م، إلا أن هذا الأسطول فشل في تحقيق أهدافه، وهذا الأمر يؤكد لنا ضعف الاحتلال البرتغالي وسوء التخطيط وضعف القادة، بينما كان العمانيون قد زادت خبرتهم في مواجهة العدو وزاد فيهم الحماس وروح الأمل بسبب الانتصارات التي حققوها على الأعداء^(١).

وعلى هذا الحال استمر الإمام سلطان بن سيف في إرسال الحملات على البرتغاليين؛ لأنه كان يعلم أن هذه الحملات تقوم بتفتيت قوة البرتغاليين وإنهاء سيطرتهم، فأرسل أسطولا عمانيا قويا نحو الهند عام ١٠٧٩هـ / ١٦٦٨م، وقد أعطى الإمام سلطان بن سيف إلى قائد هذه الحملة تعليمات بالتوجه لتدمير القاعدة البرتغالية في ديو^٢، وهي جزيرة تقع في الطرف الجنوبي من كوجرات الهندية، واستطاعت هذه الحملة أن تشن هجوما في إحدى الليالي على البرتغاليين في المدينة، ونجحت الحملة في تحقيق أهدافها، واستولت على كثير من الغنائم والثروات، ويصف لنا الأغبري ما وصفه الكاتب الكسندر هاملتون في هذه الحملة في كتاباته كما ينقل مايلز، فيذكر أنه في حوالي عام ١٠٨١م / ١٦٧٠م جاء عرب مسقط في أسطول تجاري، "وقد خالفه الباحث الأغبري بهذا التاريخ، وذكر أن هذه الواقعة كانت في عهد بلعرب بن سلطان، ونزلوا بالليل في غرب الجزيرة، دون أن يكشفهم أحد، وعند طلوع النهار فتحت بوابات المدينة، ودخلوا إليها دون مقاومة، وفي الوقت نفسه صدر إنذار وتحذير عاجل إلى أهل المدينة، أن سعيد الحظ من استطاع الفرار إلى القلعة ليحتمي بها، وأما سبي الحظ من لم تحمله قدمه إلى القلعة فكان نصيبه الموت على يد العرب، وفي أسرع من البرق كان العرب قد شحنوا سفنهم

(١) انظر السالمي. تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان. ص ٦٧. الخصوصي. بدر الدين عباس. دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر. منشورات ذات السلاسل. الطبعة الثانية ١٩٨٤م. ج ١. ص ١٥٦. وانظر الحجري. عامر بن محمد. تاريخ العلاقات العمانية الأفريقية. وزارة التربية والتعليم والشباب. سلطنة عمان. ص ١٠. وانظر الأغبري. عمان في عهد اليعاربة. ص ١٣٩.

^٢ ديو جزيرة تقع في الطرف الجنوبي من كوجرات الهندية غزاها الإمام سلطان. انظر الأزكوي. تاريخ عمان المقتبس. ص ١١٠.

من الغنائم والثروات التي كانت تزخر بها المدينة، وأضاف أن العرب لم يستطيعوا التقدم إلى القلعة؛ لأن حاكمها استطاع عن طريق مدافعه الثقيلة الطلقات أن يمنع العرب من التقدم نحو القلعة، واطمأن العرب بعد تدمير المدينة أنها لن تقاوم، إلا أن حاكمها استطاع أن يعيد ترتيب أموره وصفوفه وقام أربعمئة جندي بهجوم ناجح على العرب، فقتلوا نحو ألف منهم وأجبروا الباقين على الفرار، وبهذا تمكن البرتغاليون من استعادة المدينة من يد العرب ولكن بعد نهبها، والذي يذكره هاملتون عن خسائر العمانيين بألف رجل، هذا العدد لا يخلو من مبالغة، إلا أنه يؤكد من جانب آخر إلى تنامي القوة العمانية، ويشير أيضا إلى تطور الأساليب عند العمانيين، من خلال استخدام أسلوب المباغثة، وتمكنهم من نهب المدينة في سرعة البرق، وتذكر المصادر أن الغنائم هذه شيدَّ بها الإمام سلطان بن سيف قلعة نزوى واستغرق البناء اثني عشر عاما^(١).

وما زال الوضع على هذا الحال من تصميم الإمام سلطان بن سيف على تحطيم الأسطول البرتغالي في الهند، فقد طلب مساندة الهند في صراعه مع البرتغاليين، وقد كشف عن هذا السفير الهندي فيتال باندت في ١٠٨٠هـ / ١٦٦٩م الذي قدمه إلى نائب ملك البرتغال في جوا بالهند، إلا أنهم لم يوافقوا على هذا الأمر، بل إنهم قاموا بالتصدي للحمالات العمانية، حفاظا على صداقتهم مع البرتغاليين، إلا أن ذلك لم يوقف حملات العمانيين على البرتغاليين، ولم يحرزوا أي نتيجة من تصديهم ضد العمانيين، وعادت هذه الحملات إلى قواعدها في جوا، ثم بعد ذلك قرر البرتغاليون أن ينتقموا بمهاجمة السفن التجارية، فأرسل البرتغاليون حملة بحرية موجهة إلى البصرة، وعند مرورها بالخليج شاهدوا سفنا قادمة من مسقط محملة بالبضائع التجارية، فقاموا بمهاجمتها واستولوا على البعض منها، إلا أنهم لم يتمكنوا من نهبها كلها، بعد هذه الحادثة، في ١٠٨٣هـ / ١٦٧٢م وقعت هدنة عمانية برتغالية في صحار بين ممثل إمام عمان سلطان بن سيف، وممثل البرتغاليين القائد دي ميللو، وأهم شروط هذه الهدنة وقف العمليات العسكرية بين الجانبين لمدة ستة أشهر، وقد وافق الإمام سلطان بن سيف على هذه الهدنة، وهو على يقين أن الذي حققه من قوة وانتصارات أمر يعلو عن الذي قدموه البرتغاليون،

(١) انظر الإزكوي. سرحان بن سعيد. تاريخ عمان المقتبس من كتاب كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة. ص ١١٠. وانظر العجيلي.

ص ٦٨. وانظر الأغبري. عمان في عهد اليعاربة. ص ١٤٠-١٤٢.

وسبب طلب البرتغاليون الهدنة دليل على أنهم أصيبوا بإحباط وخيبة أمل نتيجة الضربات التي قام بها الإمام ضدهم ولم يرض قادة البرتغاليين الأمر الذي حصل من القائد البرتغالي دي ميللو الذي وقع الهدنة وأمر بمحاكمته، لأن البرتغاليين يعتقدون أنهم ما زالوا على القوة التي كانوا عليها وتوقيع الهدنة أمر يقللهم ويجعلهم ضعفاء وهم لا يعجبهم هذا الأمر^(١).

أما بالنسبة للصراع العماني البرتغالي في الخليج العربي فكان متزامنا مع المواجهات في سواحل المحيط الهندي وشرقي إفريقيا، بسبب أن الخليج العربي يتوسط المنطقتين إضافة إلى أن الحملات العمانية موجهة إلى البرتغاليين في جميع الجبهات دون انقطاع حسب الضرورة، ومن جانب آخر فإن عمان تقع على مدخل الخليج، وبالتالي تتحكم في الطرق البحرية في الخليج، وأيضا تنطلق منها الحملات إلى الهند وشرقي إفريقيا، على هذا البيان تكون مياه الخليج منطقة مهمة للقوتين، نظرا إلى وجود المصالح البرتغالية أيضا في الخليج العربي، ونذكر أهم المعارك التي خاضها الإمام سلطان بن سيف مع البرتغاليين في الخليج العربي^(٢).

كان أول لقاء بين الأسطول العماني والأسطول البرتغالي في الخليج العربي، بعدما وصلت أنباء الهزيمة التي حققتها قوات الإمام في مسقط وتطهيرها من البرتغاليين عام ١٠٦٠هـ / ١٦٥٠م، عندما وصل الخبر إلى نائب الملك في الهند دوم فيليبي حتى أرسل أسطولا مكونا من سبع سفن إلى الخليج العربي بعدما أصدر تعليماته إلى قائد ذلك الأسطول من السعي للحصول على مساعدة من الفرس ضد العمانيين، وبعدما توقف الأسطول البرتغالي في ميناء كنج الفارسي اتجه إلى القطيف، حيث التقى بعدة سفن عمانية، فنشبت معركة بحرية أسفرت عن تراجع البرتغاليين بعد ما فقدوا سفينة حربية أسرها العمانيون إلى جانب هذه السفينة أيضا ست سفن تجارية برتغالية^(٣).

ولم يتوقع البرتغاليون هذه الهزيمة التي أفقدتهم السيطرة وأصيبوا بالذهول، خاصة وأن العمانيين لم يكونوا مستعدين بذلك الاستعداد في مقابل الحشد البرتغالي والمساعدة الفارسية، عندها أرسل نائب

(١) انظر علي. الصراع العماني البرتغالي في شرق إفريقيا. ص ٣٠١. وانظر الأغبري. عمان في عهد اليعاربة. ص ١٤٤٠. ١٤٤١.

(٢) انظر الأغبري. عمان في عهد اليعاربة. ص ١٤٥ وما بعدها.

(٣) انظر علي. الصراع العماني البرتغالي في شرق إفريقيا. ص ٤٣. وانظر الأغبري. عمان في عهد اليعاربة. ص ١٤٦.

الملك في عام ١٦٦١هـ / ١٦٥١م مرة أخرى أسطولا كبيرا إلى الخليج العربي، حيث وصل إلى هرمز في ١٦٦٢هـ / ١٦٥٢م، ولكنه عندما دخل خليج مسقط وجد أن العرب له بالمرصاد، فكانت مدافعهم تطلق نيرانها عليهم من فوق قلاعهم، وهذا أمر طبيعي من العمانيين أنهم لم يرضوا بعدما طردوا المحتلين من بلادهم أن يعودوا مرة أخرى، فكان منهم أن حصنوا بلادهم واجتهدوا في تقوية الدفاع عن البلاد من هجمات العدو، ويتضح أن قائد البرتغاليين في هذه الحملة كان مغرورا بالنصر وإخضاع عمان مرة أخرى تحت سيطرتهم، ولكن وجد الأمر خلاف ما كان يتصوره هذا القائد المغرور، فقد وجد بسالة وصمود القوات العمانية، قرر على الفور الانسحاب عن المواجهة، مفضلا تجنب القتال، فكانت هذه الفرصة تعد آخر فرصة أضاعها البرتغاليون في احتلال عمان، بعدها قد فرضت عمان هيمنتها على المنطقة، وإعادة السمعة لأسطولها، ورغم هذا كله فإن المحاولات البرتغالية لم تنقطع في إيجاد موطأ قدم لهم في المنطقة؛ ليكون ذلك المكان منطلقا لهم في مواجهة السفن العمانية المنتشرة في مياه الخليج العربي، ففي ١٠٦٢هـ / ١٦٥٢م أبحر من جوا أسطول برتغالي مكون من ٤ سفن كبيرة، ومركب كبير، وسفینتين صغيرتين، و ١٣ قاربا كبيرا، و ٨ قوارب صغيرة تحمل ما يقارب من ٦٠٠ جندي تحت قيادة انطونيو ديسوزا كوشينو، فوصلت الحملة في ٣٠ أبريل إلى رأس الحد، ثم وصلت إلى مضيق هرمز في ١ مايو، ولكن الأسطول صادف أثناء وصوله ظروفًا مناخية قاسية أدت إلى مقتل عدد من الجنود، وفي اليوم السابع من نفس الشهر ظهر الأسطول العماني لمواجهة البرتغاليين، فلم يتمكن الأسطول البرتغالي من تحقيق أهدافه، فحاول دخول مسقط، إلا أن صمود العمانيين حال دون نجاحه في مهمته فأضطر إلى الانسحاب^(١).

وعلى هذه الانتكاسات لدى البرتغاليين إلا أنهم لم يثنوا عن عزمهم في مواصلة الهجوم ضد العمانيين، ولكن هذه المرة قد استعانوا بعلاقاتهم مع الزعماء المحليين في البلاد، من أجل الاستفادة منهم، لقضاء مآربهم ممن كانت تربطهم بهم مصالح في المنطقة، ومن هؤلاء الشيخ مالك شيخ خصب الذي كان على علاقة معهم منذ عام ١٠٥٨هـ / ١٦٤٨م، وتم تعيين انطونيو بريوتا قائدا على قلعة خصب، ولقد بنوا فيها أبراجا وتحصينات لهم، فكان هدفهم أن يكون من خصب منطقة تحركهم في

(١) انظر الأغبري. عمان في عهد اليعاربة. ص ١٤٦-١٤٨.

تحقيق أهدافهم التي في مخيلتهم أنهم قادرون على تحقيقها، إلا أن الإمام سلطان بن سيف علم بنواياهم فكان لهم بالمرصاد، فأرسل لهم أسطولاً في عام ١٠٦٢هـ / ١٦٥٢م بزعمارة الوالي مسعود بن راشد، وكان الأسطول مكوناً من سفينتين محملتين بالمدافع تحملان ٣٠٠ مقاتل، وعند وصول القوات العمانية إليهم أضطر البرتغاليون إلى الفرار وترك الميناء، ثم طلبوا النجدة من الهند فأرسلت لهم إمدادات سارت إلى قشم ثم التقت بالقوات العمانية، ففقدت قاعدة هامة من قواعدها في الخليج، ورغم أنها عادت الكرة على فعلتها، إلا أن ذلك لم يحقق لها أي نجاح حيث كانت قوات الإمام سلطان تلاحقهم وتكبدهم الخسائر، فاضطروا في النهاية إلى نقل قواعدهم إلى جزيرة قشم القريبة من جزيرة هرمز، وقشن في جزيرة سقطرى^(١).

بعد هذا الوضع لدى البرتغاليين تراجعوا وأخذوا يكرسون جهودهم لحماية مستعمراتهم في شرقي إفريقيا والهند، من خلال قواعدهم المنتشرة في تلك المناطق، وسرعان ما عادوا مرة أخرى، ففي شهر محرم من عام ١٠٧٨هـ الموافق ١٦٦٧م جاءت الأخبار أن الإفرنج طاشوا في البحر إلى حدود مسقط، ثم سرعان ما رجعوا، فهم أرسلوا حملات انتقامية في هذه المرة هدفهم قتل العمانيين وترويعهم، ووقعت بينهم وبين الأسطول العماني حرب في البحر بحدود بندر مسقط في جمادى الآخرة من سنة ١٠٧٨هـ / ١٦٦٨م، عندها رجع البرتغاليون إلى باب المندب بعد أن لبثوا فيه ثلاثة أشهر لحصاره بقصد مراقبة السفن العمانية والإضرار بالتجارة اليمنية التي قد تؤدي إلى حدوث توترات مع العمانيين بسبب عدم الأمن في بحارهم^(٢).

ثم بعد ذلك في سنة ١٠٧٩هـ الموافق ١٦٦٨م تعرض العمانيون لساحل عدن والمخا، ووقعوا بمрадهم على ثلاثة مراكب للبرتغال، عندها ضعفوا البندر بسبب هذه الواقعة، ويذكر أن في تاريخ ١٠٨٠هـ من شهر رجب الموافق ١٦٦٩م حصل قتال بين العمانيين والبرتغاليين في البحر ثم عطف البرتغاليون عليهم فقتلوا منهم ما يقارب مئتي نفر وانهمز الباقون، وثبت البرتغاليون في البحر يعيشون أياماً

(١) انظر الأغبري. عمان في عهد اليعاربة. ص ١٤٩، ١٤٨.

(٢) انظر علي. الصراع العماني البرتغالي في شرق إفريقيا. ص ٥٢. الأغبري. عمان في عهد اليعاربة. ص ١٤٩ وما بعدها.

حتى خرج من خرج إلى المخا، مما يعني استمرار القتال البحري بين العمانيين والبرتغاليين في مياه اليمن، وهذا يدل على رغبة العمانيين من تصفية الوجود البرتغالي من هذه المنطقة^(١).

وعند تتبع هذه المعارك التي خاضها الإمام مع البرتغاليين أرى أنه كان يركز على أمرين مهمين وهما: الأول إبعاد المخاطر عن عمان، والثاني مد يد العون وتخليص المسلمين من هذا العدو الغاصب المحتل.

ثم بعد ذلك وفي نفس العام ١٦٦٩م أرسل البرتغاليون أسطولاً مكوناً من عشر سفن بحرية إلى منطقة الخليج العربي بقيادة دوم كيروينمو مانويل، وقد مر الأسطول على بندر عباس، وبعد وقت قصير وصل أسطول عماني مكون من خمس وعشرين سفينة بحرية إلى كرك، ثم التقى الأسطولان، وكانت حاميات هرمز ولارك وقشم قد وضعت على أهبة الاستعداد، وقد وصف الإنجليز المعركة بأنها معركة دموية سقط فيها ٥٠٠ قتيل من العرب، وأن البرتغاليين فقدوا معظم رجالهم، إلا أن العرب انسحبوا في النهاية مهددين بمعركة أخرى، وعاد القائد البرتغالي منتصراً إلى جوا حيث بدأ بتحضير أسطول آخر أكبر من سابقه لمهاجمة مسقط، غير أن العمانيين كانوا أسبق في توجيه ضربة قوية أخرى ضد البرتغاليين، وكانت هذه المرة في قواعدهم العسكرية في الخليج، ففي نفس العام هاجموا مركز البرتغاليين في جزيرة قشم، كما هاجموا الفرس حلفاء البرتغال في جزيرة هرمز، وقد أدى ذلك إلى تخوف البرتغاليين على مراكزهم في الخليج، فكان عليهم أن يقوموا بالرد على الهجمات العمانية، ولكن كان الرد منهم متأخراً، ففي عام ١٠٨١هـ / ١٦٧٠م حيث قام البرتغاليون بهجوم بسبع سفن كبيرة على ميناء مخا اليمني، وحاصروه، بعدما أخبروا حاكم مخا السيد الحسن بن المطهر بن محمد الجرزموزي وذكر ابن المؤرخ اليمني الجرزموزي - بأنهم جاءوا للانتقام منه لتراخيه أمام العمانيين الذين هاجموا المراكب التجارية البرتغالية في ١٠٧٩هـ / ١٦٦٨م، وتعرضوا لهم بالهجوم في كرك عام ١٠٨٠هـ / ١٦٦٩م ظناً منهم أن ذلك سوف يحقق لهم مبتغاهم في الانتقام من العمانيين، وقد حاول حاكم مخا استرضاء البرتغاليين حتى يتمكن من تجهيز المدافعين عن المدينة، فطلب منهم الهدنة لمدة ثمانية أيام حتى يستطيع جمع الأموال تعويضاً لهم من هجمات العمانيين على سفنهم التجارية، وبعد انقضاء المدة هاجم

(١) انظر الأغبري. عمان في عهد اليعاربة. ص ١٥٠ - ١٥١.

البرتغاليون المدينة، وقتلوا خلقا كثيرا إلا أنهم لم يستطيعوا الاستيلاء على المدينة، وما إن وصلت الأخبار إلى الإمام سلطان بن سيف بادر على الفور بإرسال ألفي رطل من الرصاص إلى حكام محامساعدهم بهذه الذخيرة فيدفع البرتغال عن الميناء اليمني^(١).

(١) انظر علي. الصراع العماني البرتغالي في شرق إفريقيا. ص٥٧، ٥٩. وانظر الأغبري. عمان في عهد اليعاربة. ص ١٥١-١٥٣.

الفصل الثالث: الدعوة عند الإمامين.

بإذن الله سوف نتحدث في هذا الفصل عن الدعوة عند الإمامين والعمانيين في تلك الفترة التي كانت في محنة الحروب وتوحيد البلاد ولم يتركوا أمر الدعوة جانبا بل كانت نصب أعينهم.

المبحث الأول: الدعوة عند العمانيين.

المطلب الأول: تعريف الدعوة لغة واصطلاحاً.

الفرع الأول: الدعوة في اللغة:

دعا بالشيء/ دعواً، ودعوةً، ودعاءً. ودعوى طلب إحضاره. والدّاعية الذي يدعو إلى دين أو فكرة، والدّعوة يقال قني دعوة الرجل، أي بيني وبينه قدر ما بيني وبين الذي أدعوه، والدعوة ما يدعى إليه من طعام أو شراب، والدعوة تعني أيضاً الادعاء^(١).

الفرع الثاني: الدعوة اصطلاحاً:

وقد عرفها الشيخ علي محفوظ ويقول (من أمعن النظر علم أن الدعوة إلى الله حياة الأديان، وأنه ما قام دين من الأديان، ولا انتشر مذهب من المذاهب، ولا ثبت مبدأ من المبادئ إلا بالدعوة، وما تداعت أركان ملة بعد قيامها، ولا درست رسوم طريقة بعد ارتفاع أعلامها، ولا تلاشت نزعة من النزعات بعد إحكامها إلا بترك الدعوة)^(٢).

(١) انظر إبراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيات وحامد عبد القادر ومحمد علي النجار. المعجم الوسيط. أشرف على الطبع حسن علي عطية ومحمد شوقي أمين. المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع. ط: ١٩٧٢. ج الأول. ص ٢٨٦.

(٢) انظر علي محفوظ. هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، دار المعرفة، بيروت لبنان، سنة النشر ١٩٠٠م، ص ١٤.

وعرفها آدم عبدالله الألوري فقال: (صرف أنظار الناس وعقولهم إلى عقيدة تفيدهم، أو مصلحة تنفعهم، وهي أيضا ندبة لإنقاذ الناس من ضلالة كادوا يقعون فيها، أو من مصيبة كادت تحرق بهم)^(١). فمن خلال التعريفين يرى علي محفوظ أن الأديان تحيا بالدعوة إلى الله تعالى، وتقوم هذه الأديان بقيام الدعوة وتتداعى بتدعيها، فالدعوة هي الحث على الخير والهداية والرشاد. وأما آدم عبدالله فنرى من تعريفه أن الدعوة هو ذلك المجهود الذي يبذله الداعية المخلص في توجيه أنظار الناس وعقولهم ولخلق عقيدة صحيحة ومصلحة تفيدهم لإنقاذ الناس من الضلال والمصائب.

المطلب الثاني: موقع عمان الجغرافي وأثره في الدعوة:

تقع عمان في هذا العصر في الجنوب الشرقي من شبه الجزيرة العربية، وتشرق على البحر العربي في الجنوب، وعلى خليج عمان في الشرق وتحدها اليمن من الغرب مع السعودية ودولة الإمارات العربية المتحدة^(٢). هذا التعريف عند المتأخرين، ونحن في صدد دراسة موقع عمان في القديم وأثره في الدعوة. وأما في تعريف المتقدمين لجغرافية عمان، أن العرب كانوا يقسمون شبه جزيرتهم إلى خمسة أقسام وهي: تهامة والحجاز ونجد واليمن والعروض، فحسب تقسيم العرب، تقع عمان والبحرين واليمامة في العروض؛ وسمي عروضاً لاعتراضه بين اليمن ونجد والعراق^(٣). نستنتج من هذا أن عمان تشغل معظم الجزء الشرقي من الجزيرة العربية، وتحدها مياه المحيط الهندي والخليج من جانبيين، وتحيط بها رمال الصحراء من جانب آخر.

(١) انظر آدم عبدالله الألوري. تاريخ الدعوة إلى الله بين الأمس واليوم. مكتبة وهبة. الطبعة الثالثة ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م. ص ١٧.

(٢) انظر وضع وإعداد جماعة من أساتذة الجغرافيا والتاريخ في لبنان والعالم العربي، أطلس العالم الصحيح، رسم وإخراج حسان حامد، منشورات دار مكتبة الحياة، سنة النشر ٢٠٠٥ م، ص ٦٥.

(٣) انظر سيدة إسماعيل كاشف. عمان في فجر الإسلام. سلطنة عمان وزارة التراث القومي والثقافي. العدد الأول. ص ٨.

كما أن عمان ليست أرضاً قاحلة كباقي أجزاء الجزيرة العربية، فالله تعالى حباها بمصادر للمياه على جانبي الجبل الأخضر^(١).

فبعد تحديد جغرافية عمان، سوف نرى مدى التأثير من هذه الجغرافية على حياة العماني في نشر الدعوة إلى الله تعالى، ويمكن أن نستنتج من ذلك الوصف ما يلي:

أولاً: نجد أن هذا الموقع الجغرافي قد أسبغ حياة عمان بطابع متميز، فالحضر يسكنون الساحل، وبالتالي يمكنهم الاتصال بالعالم الخارجي عن طريق المسطحات المائية، للعمل على نشر دعوتهم الإسلامية، أما البدو فيتعدون عن الساحل، فيتسنى لهم المحافظة على العادات والتقاليد الإسلامية المتوارثة أبا عن جد^(٢).

ثانياً: إننا نرى من خلال حديثنا عن جغرافية عمان، أن عمان تحيط بها البحار شمالاً وشرقاً وجنوباً، فولد هذا الوضع منذ القديم المعلمين المهرة، والملاحين الحاذقين، والدعاة المخلصين، فاتجهت سفن العمانيين إلى الهند وفارس والخليج وشرقاً وإفريقيا، تجاراً يكسبون عز الدنيا ودعاة يكسبون عز الآخرة.

ثالثاً: نظراً لخصوبة الأراضي العمانية، وتوفر المياه فيها، فإن العماني استطاع أن يستقر في أرضه ويكوّن حضارات عبر العصور، وأزهى تلك الحضارات حضارة الإسلام التي ما زال أثرها إلى الآن.

رابعاً: إن التضاريس الوعرة من جبال وصحاري الربع الخالي خاصة، أكسبها العمانيين منعة من أي عدو يريد النيل من مقوماتهم الحضارية.

(١) انظر المعمرى. أحمد حمود. عمان وشرقي إفريقيا. ترجمة محمد أمين عبدالله. سلطنة عمان. وزارة التراث القومي والثقافي. الطبعة ١٩٧٩م. ص ٥٩.

(٢) انظر عائشة علي السيار. دولة اليعاربة في عمان وشرق إفريقيا في الفترة من ١٦٤٠-١٧٤١م. الطبعة الثانية ١٩٧٣م، ص ٢٤.

المبحث الثاني: الدعوة عند الإمام ناصر بن مرشد والإمام سلطان بن سيف.

المطلب الأول: التنظيم الفكري عند الإمامين وأثره في الدعوة.

لا بد لأية حركة دعوية من دعائم تستند عليها، ومن بين تلك الدعائم اهتمامها بالجانب الفكري الذي يؤدي إلى الانتصارات وتحقيق الأهداف، فالإمامان برغم شغلهم الكثير في تسيير شؤون الدولة، إلا أنهم لم يهملوا الجانب الفكري أبداً، وكما ذكرنا سابقاً أن الإمام ناصر درس عند المشايخ وكانت الدراسة المنتشرة في ذلك الوقت عبارة عن وجود ما يعرف بالكتاتيب، فاستمروا على هذا النسق، فكانت تدرس فيها العلوم الدينية كالتوحيد والفقه إلى جانب تحفيظ القرآن الكريم، وتعلم الكتابة والحساب، فظهر فيهم الكثير من الرواة والمحدثين، كما شقت ميدان الأدب شخصيات عدة تركت تراثاً زاخراً يفخر به كل العمانيين^(١).

ومن الجهود التي كان يقوم بها الإمامان في أمر الدعوة، أنهما كانا يتوليان إمامة الناس في الصلاة، ولا يقوم بهذا الأمر إلا من كان ملماً بجملة من العلوم في مختلف الميادين، فهم المقدمون في إمامة الصلاة؛ فالإمام ناصر بن مرشد كان من أحد طرقه في تعليم الناس والدعوة إلى الله تعالى من خلال خطب الجمعة، أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر؛ قال الشيخ سالم بن حمود في كتابه (إن الإمام الأرشد ناصر ابن مرشد رحمه الله، كان يخطب في صلاة الجمعة خطبة واحدة)^(٢)، وهذا دليل على أن الإمام ناصر كان يؤم الناس، ويخطب فيهم الخطب الوعظية، ويعلمهم أمور دينهم، وهذا نوع من أنواع الدعوة في سبيل الله تعالى، حيث نجد في زماننا هذا عزوف عن تعليم الناس، وعن تقدم من هم أجدر بالصلاة من غيرهم.

وأيضاً أن ابن عمه الإمام سلطان بن سيف ليس منه ببعيد حيث قال الإمام السالمي عن دولته: (وكثر الفقهاء، واعتمرت عمان في دولته)^(٣).

(١) انظر عائشة علي السيار. دولة اليعاربة في عمان وشرق إفريقيا في الفترة من ١٦٤٠-١٧٤١م. ص ١٧٣.

(٢) انظر السياي. سالم بن حمود بن شامس. عمان عبر التاريخ. ص ١٧٣.

(٣) انظر السالمي. تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان. ج ٢. ص ٤٩.

ومن خلال استقرائي كانا يعتمدان غالب الوقت في نشر الدعوة الفكرية عن طريق المراسلات والخطب*، فسوف أقوم بذكر نموذج من الرسائل لكل إمام وبعدها نعلق ونناقش هاتين الرسالتين.

النموذج الأول:

رسالة من الإمام ناصر بن مرشد إلى ابن عمه وخليفته على الأمر من بعده سلطان بن سيف بن مالك اليعربي، حيث أراد أن يستعمل ابن عمه على بعض الأمور، فاعتذر له هذا الأخير، فرد الإمام ناصر على اعتذاره بما يلي: فبعد البسملة والحمدلة وأوصاه الإمام بتقوى الله، وأوصى نفسه أيضا والمؤمنين، ودعا إلى الاقتداء بالسلف الصالح، وبعد ذلك أحاله إلى أهل العلم والفضل، في مسائل سأل الإمام فيها، ثم أشار عليه أن لا يتخلى عما كلفه به من ولاية؛ لأن تكليفه إياه سيكون لإعزاز الدين الإسلامي، ودعاه إلى استشارة العلماء في الأمر، ثم دعاه أن يسلموا الأمر لله وأن يثبت ويصبر، ودعاه إلى تقوى الله تعالى في قوله (وتوكل عليه وفوض أمرك إليه، واتقه حق تقاته، ليجعل لك من جميع أمورك المخرج)، وحذره من الانصياع لداعي الشهوة والخلود إلى الدنيا، كما هو حال ملوك الجور والطغيان، وهون من قيمة الدنيا في عين واليه حيث قال له: (فلا تلتفت ولدي إلى الدنيا ونعيمها وغضارتها، فإنها لعب وهو وزينة وتفاجر لا توازن عند الله جناح بعوضة)، ودعاه إلى إخماد نار البدع، وإماتة الباطل، والتصدي للبغاة، ودعاه إلى الإحسان إلى الفقراء والإخوان والأصفياء، وأداء حق الله في الضعفاء، والمساكين، هذا تقريبا كل ما رد في الرسالة من توجيهات ومعاني، ثم ختمها بالحمد لله والصلاة على النبي محمد صلى الله عليه وسلم^(١).

*من أراد الاطلاع على خطبهم ورسائلهم يجدها في كتاب تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان الجزء الثاني، لأن المقام لا يسع لذكرها هنا.

(١) انظر السالمي. تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان. ج٢. ص٢٩، ٢٨، ٢٧.

النموذج الثاني:

رسالة من إمام المسلمين سلطان بن سيف بن مالك إلى أحد ولاته، حيث بدأ الإمام بالبسملة، ثم أرشده إلى التعفف عن أموال المسلمين، وعدم التدليس في الشراء عن الفقراء والمساكين والطبقة المحرومة، وذكره بمراقبة الله تعالى، إذ يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، كما حاول أن يهذب فيه الخلق، وأمره بالخلق الحسن، وعدم الكلام بما لا يليق حيث قال له (وقد بلغني أن لك شقشقة تهدر بهذيان، كان لا يليق بمثالك ولا يجمل لو دريت بحالك، فلا تكن ممن سيماه سيما العلماء ونطقه نطق السفهاء، واسمع إلى ما قاله ربك ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (ق: ١٨))، ثم بعد ذلك ختم رسالته بتحية الإسلام وتحية أهل الجنة^(١).

التعليق على الرسالتين:

إن من خلال هذين النموذجين، يتضح لنا بجلا، ومما ليس فيه لبس مدى تمسك الأئمة بالتقوى والدعوة إليهما، والحث عليها، وإلزام الولاة بطاعة الله والإحسان إلى الرعية، كما هو ظاهر الرسالتين المختارتين كنموذج ليس إلا، فالمقام لا يتسع إلى أكثر من ذلك، فحسبنا أن نتصور ذلك الجو الرباني الذي يعيشه الحكام اليعاربة آنذاك في حين أن جل فترات التاريخ الإسلامي عرف حكاما جورا، خلدوا إلى الدنيا وزينتها، واستغلوا أموال المسلمين بما يلي رغباتهم وشهواتهم، فالتفت حولهم بطانة سوء وسارت على شاكلتهم، فلا نصح ولا إرشاد ولا مراقبة الله في النفس والعباد، وأما الإمامان كانوا على هدى وبصيرة من ربهم، فيتبين ذلك من خلال التعليق على الرسالتين السابقتين:

النموذج الأول: يتمثل في الرسالة التي أرسلها الإمام ناصر بن مرشد إلى ابن عمه سلطان بن سيف بن مالك اليعربي عقب اعتذار هذا الأخير عن الولاية في بعض الأمور التي كلفه بها الإمام.

(١) انظر السالمي. تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان. ج ٢. ٦٢، ٦١.

فنستنتج من الرسالة ما يلي:

أولاً: إن الإمام لم يختار ابن عمه عصبية، وإنما اختاره لما رأى فيه من صلاح وتوسم فيه من سداد وحسن تدبير.

ثانياً: التواضع الذي امتاز به الإمام حين لم يجب عن مسائل ابن عمه سلطان بن سيف، إذ أحاله إلى العلماء وذوي المعرفة والفضل، فلم يتناول على العلماء، وإنما كرمهم وبجلهم وقدرهم على نفسه.

ثالثاً: إن الامتناع والاعتذار من قبل ابن عمه سلطان بن سيف لم يكونا من قبيل الهروب من الواقع، وإنما هو شعور بخطورة المسؤولية، ومخافة التقصير فيها وهذا عكس ما رأيناه وما نراه من تكالب حول السلطة بين المسلمين.

رابعاً: إن الإمام أوصى واليه بجملة من الوصايا الرشيدة، من تقوى الله والتوكل عليه، وإخماد الباطل، وإماتة البدع، والرحمة بالمساكين والفقراء والمعدمين.

خامساً: إن هذه الرسالة وغيرها من الرسائل، كان لها الأثر الكبير في حياة سلطان بن سيف، حيث ظهرت كفاءته، وحسنت خلافته للإمام ناصر بن مرشد، فاستقرت الرعاية في عهده، وانتشر العدل والرخاء^(١).

النموذج الثاني: يتمثل في الرسالة التي أرسلها سلطان بن سيف بن مالك إلى أحد ولاته، لم يذكر له اسم عند الشيخ السالمي، حيث نجد أن الرسالة مفعمة بالإخلاص والنصح والإرشاد، فالإمام يبادر في تقويم أخلاق ولاته إذا رأى منهم مظهراً من مظاهر الإخلال بشرف القيادة، كما هو الحال عند هذا الوالي، الذي تكلم كلاماً غير مناسب لشرف منصبه فقال له الإمام (فلا تكن ممن سيماه

(١) انظر ابن رزيق. الفتح المبين. ج ٢. ص ١٥٧.

سيما العلماء، ونطقه نطق السفهاء) قد يبدو النصح جارحا، ولكنه بلسم شافٍ، وهو نصح وجيه خاصة، وأن توليه أمور المسلمين ليس بالأمر الهين، فمما ينبغي له في هذا المقام العدل والانضباط.

فمن خلال مناقشة الرسالتين، تعرفنا على مدى الحزم الذي يأخذ به الإمام ناصر والإمام سلطان في تسييرهم لشؤون البلاد والدعوة إلى الله تعالى فهي الأساس، وهي فوق كل اعتبار.

المطلب الثاني: التنظيم السياسي والعسكري عند الإمامين ودوره في الدعوة.

نجد أن أساس الدعوة مبنية على التنظيم السياسي والعسكري، فمتى تم هذا الأمر تمت الدعوة، والتوجه السياسي عند الإمامين هو اقتدائهم بالخلفاء الراشدين، في اختيار الإمام، والذين يختارون الإمام هم العلماء وأهل الحل والعقد كما ذكرنا سابقا عن الكيفية التي بوبع فيها الإمام ناصر وأيضا الإمام سلطان بن سيف فيتم اختيارهم بعناية ودقة، ولا بد من شروط والتزام من الإمام، وكذلك على من يوليه الإمام على أمر ما فلا بُدَّ منه أن ينهج نهج الإئمة والعلماء، والذي يخالف أو يظهر عليه غير الذي تعهد عليه المسلمون يتم نصحه فإن لم ينتصح يعزله العلماء إن كان الذي أحل هو الإمام وإن كان هو أحد الولاة فالإمام يقوم بنصحه فإن انتصح فلها وإن لم ينتصح يعزل من منصبه كما رأينا من نصح الإمام سلطان لأحد ولاته في الرسالة السابقة^(١).

وجدير بنا أن نذكر على سبيل المثال لا الحصر، في دعوة الإمام عن طريق العفو، عندما عفى الإمام ناصر عن المدعو سيف بن محمد الهنائي، الذي كان من أعداء الإمام عندما ضاقت الأرض عليه بما رحبت، جاء إلى الإمام مظهرا للتوبة يطلب العفو من الإمام عما أحدث فعفا عنه الإمام^(٢)، فلو جئنا لكي نحلل هذه الحدث، نجد أن الإمام كان منهجه متبعا للنبي عليه السلام في العفو عن من أساء إليه ويقبلهم، وهذه هي الدعوة إلى الله جلب الناس إلى الخير وعدم تنفيرهم.

وأیضا نجد أن الإمام ناصر يسمح لأهالي الصير بإقامة صلاة الجمعة في منطقتهم وذلك بعد أخذه برأي الشيخ خميس الشقصي، كما جاء على لسان والي الصير في تلك الفترة الشيخ خلف بن

(١) انظر السالمي. تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان. ج٢. ٦٢، ٦١.

(٢) انظر السيابي. عمان عبر التاريخ. ج٣، ٤٤. ص ١٥٧، ١٥٦.

أحمد بن عبد الله الرقشي^(١) حيث وضح بأن أهل المنطقة كانوا يتمذهبون بغير مذهب الإباضية، ولو أن هناك من يروي أن الإمام ناصر في بداية الأمر منعهم وبعد ذلك أمره الشيخ خميس بأن يسمح لهم ما لم يدعوا أحداً إلى الدخول في مذهبهم^(٢).

وأما علاقة التنظيم العسكري عند الإمامين فلها دور كبير في نشر الدعوة، حيث كما ذكرنا سابقا في قتال الكفار وطردهم من البلاد هو بحد ذاته يتيح الفرصة لهم لنشر الدعوة والحكم بما أنزل الله تعالى في الأرض، وكذلك من طرد الكفرة من البلدان المسلمة فهذا الأمر يشجع أيضا ويتيح الفرصة في نشر الدعوة في بلاد المسلمين، والأمر الآخر دور الإمامين في تعيين من يقود الجيش العسكري ويقوم بنصحه وتشجيع الجنود على مساعدة المسلمين فهذا الأمر بذاته يعد نورا للدعوة المحمدية لتمكين عباد الله أن يقيموا شعائر الله في الأرض بأريحية وأمان ولا يجدون مضايقات من أعداء الإسلام، فتجد أن في الجيش منهم العلماء والشعراء وهذا كله لتكمل الدعوة في هذا المجال، وجدير بنا أن نوثق هذا الكلام بأمثلة في حياة الإمامين:

والجدير بالذكر أن الإمام ناصر بن مرشد قد أولى اهتماما خاصا باختيار قواده العسكريين، وكذلك ولاية المدن والأقاليم الذين يتميزون بالكفاءة والولاء أمثال: (خميس بن سعيد الشقصي، ومسعود بن رمضان، وعبد الله بن محمد بن غسان، وابن عمه سلطان بن سيف) وغيرهم من القادة والولاة، وكما كان الإمام يقود الجيوش بنفسه عندما تدعو الحاجة إلى ذلك مما كان له أبلغ الأثر في تحقيق مكاسب كثيرة منها: النصر، ونشر الدعوة^(٣).

وأیضا من الأمثلة في حياة الإمام سلطان بن سيف على هؤلاء القيادات وهو أحد الفقهاء والشعراء الذين عملوا تحت راية الإمامة، قصيدة، في مدح الجيش العماني، وذكر لنا فيها عدد الشراة الذين

(١) هو الشيخ الفقيه خلف بن أحمد بن عبد الله الرقشي، كان أحد ولاية دولة اليعاربة حيث تقلد ولاية الصير (جلفار)، كما تولى ولاية قريات في عهد الإمام ناصر بن مرشد اليعر، من آثاره العلمية تأليف "مصباح الظلام في شرح دعائم الإسلام" انظر البراشدي. موسى بن سالم بن حمد. الحياة العلمية بعمان في عهد اليعاربة. النادي الثقافي. مسقط. دار الفرق. سوريا. دمشق. الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م. ص ١٥٣.

(٢) انظر البراشدي. الحياة العلمية بعمان في عهد اليعاربة. ص ٨٢، ٨١.

(٣) انظر أيمن محمد عيد. اليعاربة أمجاد وبطولات. دار الكتب والدراسات العربية. الإسكندرية. طبعة ٢٠١٦م. ص ٦٤.

شاركوا في معركة بته، فقد ذكر أنهم مئات في حين أن البرتغاليين كانوا ألفوا، وهذه إشارة إلى الفرق الشاسع في العدد بين القوتين، ثم ذكر أن الجيش وصل الجزيرة وقت الضحى، فدخلوا في حرب مع البرتغاليين، وكانت حرباً طاحنة شديدة عليهم، حتى نصرهم الله من العدو، تحت قيادة القائد الباسل الشيخ محمد بن مسعود الذي دفع بجنوده نحو المعركة بمعنويات عالية وهم قوية^(١).

المطلب الثالث: التنظيم الاجتماعي والاقتصادي عند الإمامين ودوره في الدعوة.

ففي هذا المطلب نحن في صدى معرفة جوانبهم الشخصية لدى المجتمع وما هو دورهم في هذا الجانب؟ وهل لهم بصمة في الجانب الاجتماعي والاقتصادي سواء أكان في معاملاتهم أو معاملات غيرهم؟ ومما مدى تأثير هذه الأفعال في الدعوة؟

فأول الأمر نتطرق إلى الجانب الاجتماعي، كما ذكرنا سابقاً عن الأوضاع الاجتماعية السيئة والظلم قبل مجيء الإمام ناصر لم تكن للدعوة أثر بسبب عدم العدل وانحلال الأمان، فبعد مجيء الإمام نشر العدل والأمان في البلاد، وشجع العلماء على نشر العلم؛ لأن الإمام هو متفق معهم على هذا فلا أحد يخاف من أحد؛ لأن العدل ساد البلاد، وكان الإمام يمشي ويأكل مع صغيرهم وكبيرهم فقيرهم وغنيهم لا فرق بينهم إلا بالتقوى، وذكر هذا الأمر كثير من المؤرخين منهم الإمام السالمي حيث قال: (كان بالمؤمنين رؤوف رحيم، ليس بفظ ولا غليظ، كثير الذكر، قليل اللغو، لا يستنكف أن يمشي بين العبد والمسكين، وهو ملك في زي مسكين)^(٢).

وبالإضافة إلى هذا أن المنهج الذي سار عليه الإمام ناصر مع الرعية منذ البداية اتسم بالعدل والرحمة وتحقيق مطالبهم والإشراف المباشر على شؤونهم ودرء المظالم والأخطار عنهم، وبهذه النهج استطاع

(١) انظر الأغبري. عمان في عهد اليعاربة. ص ١٣٢، ١٣١.

(٢) انظر السالمي. تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان. ج ٢. ص ٢٤.

أن يضع أساسا متينا لدولة قوية قادرة على حمل مسؤولية الجهاد نشر الدعوة المحمدية، وبهذه المنهج أيضا استطاع أن يمد نشر الدعوة على أهم الأقاليم والمدن والقلاع في عمان^(١).

وكذلك أيضا كان الإمام سلطان بن سيف له دور بارز في مجتمعه حيث كان يحث ولايته في القرى والبلدان والمنازل والأوطان، يحثهم فيها على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر^(٢).

وأما من الناحية الاقتصادية فلم يغفلوا عنها ولم يذكر أحد من المؤرخين أن أحد من الإمامين كان عالة على أحد في الجانب الزراعي والجانب الصناعي والجانب التجاري الملاحى، فكان لكل الشعب الحرية في هذا، مع هذا كله ففي عهد الإمام سلطان بن سيف جمع من ثروة طائلة من العدو البرتغالي، فما كان منه إلا أن سخرها في سبيل ترميم الأفلاج وبنائها، لتوفير المياه الكافية التي تطلبها الزراعة^(٣).

ومن الأمثلة في الناحية الاقتصادية عند الإمام ناصر بن مرشد حينما قام بتأمين الحركة التجارية الخارجية لعمان على الرغم من أن السواحل العمانية لا تزال في يد البرتغاليين، واتضح ذلك من المعاهدات التي عقدها الإمام ناصر مع الأوروبيين كتلك التي عقدها مع مندوب شركة الهند الشرقية الإنجليزية فيليب وايلد عام ١٦٤٢م، والمتعلقة بتنظيم التجارة بين عمان والشركة الإنجليزية^(٤).

ومن الأمثلة أيضا في الناحية الاقتصادية عند الإمام سلطان بن سيف، فنذكر ما قام به الإمام سلطان بن سيف في عام ١٦٥١م مع الهولنديين، فقد قدم الإمام عرضا تجاريا مغريا متمثلا في تسهيل انتقال بضائعهم عبر الأراضي العمانية إلى البصرة بدلا من جو برون^(٥).

وأيا ما قام به الإمام سلطان بعد مطاردة البرتغاليين في الهند من استمرار الحركة التجارية مع الهند، حيث أصبحت العلاقة قوية جدا عندما أعطت الضمانات للتجار ضد الاعتداءات عليهم،

(١) انظر أيمن محمد عيد. اليعاربة أمجاد وبطولات. ص ٦٤.

(٢) انظر السالمي. تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان. ج ٢. ص ٥٣.

(٣) انظر وزارة الإعلام والثقافة بسلطنة عمان، عمان وتاريخها البحري. سلطنة عمان ١٩٧٩م. ص ٦٤.

(٤) انظر البراشدي. موسى بن سالم بن حمد. الحياة العلمية بعمان في عهد اليعاربة. النادي الثقافي. مسقط. دار الفرق. سوريا. دمشق. الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م. ص ٦١.

(٥) انظر عائشة السيار. دولة اليعاربة في عمان وشرق إفريقيا في الفترة من ١٦٤١-١٧٤١م. ص ٢٠٦.

وأخذ الإمام سلطان يرسل وفوده التجارية إلى الهند؛ لتعزيز علاقاته التجارية معهم التي ازدهرت كثيراً، وهذا الأمر ساعد على نشر الدين الإسلامي في تلك المناطق من خلال المعاملة الحسنة من العمانيين للهنود^(١).

وأما على الصعيد الداخلي فقد وجه الإمام سلطان اهتمامه إلى ترويج التجارة وعمارة الأسواق مثل سوق إزكي الذي بني سنة ١٠٧٩هـ/١٦٦٨م، كذلك اعتنى بتجارة الأسلحة والعتاد العسكري لتقوية جيشه، وأنفق في هذا المجال أموالاً طائلة^(٢).

ففي رأيي أن ما قام به الإمام سلطان بن سيف هو عين الصواب في نشر الدعوة حيث بهذا الفعل يستفيد عز الدنيا وعز الآخرة حيث أنه يستفيد منهم بالتبادل التجاري وأيضاً يجعل هذا الأمر مشجعاً لهم في نشر الدعوة، وإبراز أخلاق المسلم الحق ضد الكافر الذي لم يؤذ مسلم، فكانت بجانب هذا التجارة كان العمانيون رواداً للأخلاق ونشر فضائل الدين.

(١) انظر أيمن محمد عيد. اليعاربة أمجاد وبطولات. ص ٩٩.

(٢) انظر البراشدي. الحياة العلمية بعمان في عهد اليعاربة. ص ٦٦.

الخاتمة:

وتشتمل على النتائج والتوصيات

أولاً/ النتائج: بعد الخوض في هذا العمل، خرجت منه بالنتائج الآتية:

١. أن الإمامين ناصر و سلطان ابني بيئتهم، حيث ترعرعا في بيئة طيبة، وأسرة كريمة، نشأت على تقوى الله، فاكسبا منها تلك التربية الصالحة.

٢. الفترة التي عين فيها الإمام ناصر للإمامة كانت تعاني من الفتن والخلافات، ورغم ذلك، استطاع هذا الإمام أن يصمد أمام تلك التحديات، فقام بواجبه خير قيام.

٣. الفترة التي عين فيها الإمام سلطان للإمامة كانت عمان مستقرة وتحت السيطرة عدا مسقط، فقام بطرد البرتغاليين منها، وقام بمواجهتهم في المناطق المجاورة لدولته.

٤. للإمامين نماذج في الدعوة إلى الله، منها: إرغام المتمردين لأحكام الشرع؛ لإقامة العدل في ربوع دولتهم، والقضاء على الفساد، والاهتمام بالعلم والتعليم.

٥. من الوسائل الدعوية التي اتخذها الإمامان عند قضائهم على الفتن والتمرد: النصح والإرشاد، والصبر والتحمل، والتسامح والعفو، والحكمة.

ثانياً/ التوصيات: وقد خرجت من هذا البحث بهذه التوصيات:

١. العناية بشخصية الإمامين من خلال: إبراز جهودهم في المؤسسات التعليمية.

٢. اتخاذ شخصية الإمامين مثالا في جميع المجالات، خاصة في المجال العسكري والدعوي.

٣. الاهتمام بسيرة السلف الصالح، وإبراز دورهم وجهودهم في الإصلاح.

قائمة المصادر والمراجع:

١. إبراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيات وحامد عبد القادر ومحمد علي النجار. المعجم الوسيط. أشرف على الطبع حسن علي عطية ومحمد شوقي أمين. المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع. ط: ١٩٧٢.
٢. آدم عبدالله الألوري. تاريخ الدعوة إلى الله بين الأمس واليوم. مكتبة وهبة. الطبعة الثالثة ١٤٠٨ هـ. ١٩٨٨ م.
٣. الإزكوي. سرحان بن سعيد. كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة. وزارة التراث والثقافة. سلطنة عمان. الطبعة الثانية: ١٤٣٤ هـ / ٢٠١٣ م.
٤. الأغبري. إبراهيم بن يوسف بن سيف. عمان في عهد اليعاربة. القاهرة مركز الراية للنشر والإعلام. الطبعة الأولى ٢٠١٧ م.
٥. أيمن محمد عيد. اليعاربة أمجاد وبطولات. دار الكتب والدراسات العربية. الإسكندرية. طبعة ٢٠١٦ م. ص ٦٤.
٦. البراشدي. موسى بن سالم بن حمد. الحياة العلمية بعمان في عهد اليعاربة. النادي الثقافي . مسقط. دار الفرقد. سوريا. دمشق. الطبعة الأولى ١٤٣٤ هـ / ٢٠١٣ م.
٧. التوي. أحمد بن حميد. المقاومة العمانية للوجود البرتغالي في الخليج العربي والمحيط هندي (١٥٠٧-١٦٩٨ م). دار النشر بيت الغشام للصحافة والنشر والترجمة والإعلان. سلطنة عمان. مسقط. الطبعة الأولى: ٢٠١٧ م.
٨. ابن رزيق. حميد بن محمد بن رزيق بن بخيت النخلي العماني. الفتح المبين. سلطنة عمان. وزارة التراث والثقافة. الطبعة السادسة: ١٤٣٧ هـ / ٢٠١٦ م.
٩. الرواحي. سالم بن محمد بن سالم. الدعوة الإسلامية في عمان في عهد اليعاربة. مكتبة الضامري. السيب. سلطنة عمان. الطبعة الأولى. ١٤٣٥ هـ / ٢٠١٤ م.

١٠. السالمي. عبد الله بن حميد. تحفة الأعيان. مكتبة الأمام نور الدين السالمي. السيب الحيل الجنوبية: ٢٠٠م. توفي في الخامس من ربيع الأول ١٣٣٢هـ.
١١. السعدي. فهد بن علي بن هاشل. معجم الفقهاء والمتكلمين الإباضية. مكتبة الجيل الواعد الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.
١٢. السعدي. فهد بن علي بن هاشل. معجم شعراء الإباضي. مكتبة الجيل الواعد. الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.
١٣. السيبي. سالم بن حمود بن شامس. عمان عبر التاريخ. سلطنة عمان. وزارة التراث. الطبعة الخامسة: ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.
١٤. سيدة إسماعيل كاشف. عمان في فجر الإسلام. سلطنة عمان وزارة التراث القومي والثقافي. العدد الأول.
١٥. السيفي. محمد بن عبد الله بن سعيد السيفي. النمير روايات وقصص. الطبعة الأولى ١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م.
١٦. السيفي. محمد بن عبد الله بن سعيد. السلوى في ٧. تاريخ نزوى. الطبعة الأولى: ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.
١٧. الشيباني. سلطان بن مبارك الشباني والجزائري محمد صالح ناصر. معجم أعلام الإباضية. دار الغرب الإسلامي. الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
١٨. عائشة علي السيار. دولة اليعاربة في عمان وشرق إفريقيا في الفترة من ١٦٤. ١٧٤١م. الطبعة الثانية ١٩٧٣م.
١٩. علي محفوظ. هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، دار المعرفة. بيروت لبنان، سنة النشر ١٩٠٠م.
٢٠. المعمرى. أحمد حمود. عمان وشرقي إفريقيا. ترجمة محمد أمين عبد الله. سلطنة عمان. وزارة التراث القومي والثقافي. الطبعة ١٩٧٩م.

٢١. نزوى عبر التاريخ. حصاد الندوة التي أقامها المنتدى الأدبي في الفترة من ١٦_١٧ جمادى الآخرة ١٤١٩ هـ الموافق ٧_٨ أكتوبر ٢٠٠١ م. الطبعة الثانية.
٢٢. وزارة الإعلام والثقافة بسلطنة عمان، عمان وتاريخها البحري. سلطنة عمان ١٩٧٩ م.
٢٣. وضع وإعداد جماعة من أساتذة الجغرافيا والتاريخ في لبنان والعالم العربي، أطلس العالم الصحيح، رسم وإخراج حسان حامد، منشورات دار مكتبة الحياة، سنة النشر ٢٠٠٥ م.

المحتويات

الإهداء	٢
شكر وعرفان	٣
مقدمة	٤
أهمية الموضوع	٤
سبب اختيار الموضوع	٥
صعوبات البحث	٥
منهج البحث	٥
خطة البحث	٦
الفصل الأول: عصر الإمامين وحياتهما الشخصية	٨
المبحث الأول: الأوضاع قبل مجيء الإمامين	٨
المطلب الأول: عمان في العصر النبهياني	٩
المطلب الثاني: تدهور الحركة العلمية	١٣
المبحث الثاني: الإمام ناصر بن مرشد اليعربي	١٤
المطلب الأول: اسمه ونسبه	١٤
المطلب الثاني: حياته وبيئته	١٥
المطلب الثالث: صفاته وأخلاقه ووفاته	١٧
المبحث الثالث: الإمام سلطان بن سيف اليعربي	١٩
المطلب الأول: نسب الإمام وحياته	١٩

المطلب الثاني: بيعته:	١٩
المطلب الرابع: صفاته وأخلاقه ووفاته	٢٠
الفصل الثاني: الجهود العسكرية عند الإمامين	٢٢
المبحث الأول: الجهود العسكرية عند الإمام ناصر بن مرشد	٢٢
المطلب الأول: توحيد الجبهة الداخلية	٢٢
المطلب الثاني: مواجهة البرتغاليين	٣٣
المبحث الثاني: الجهود العسكرية عند الإمام سلطان بن سيف	٣٦
المطلب الأول: تطهير عمان من البرتغاليين	٣٦
المطلب الثاني: ملاحقة البرتغاليين في شرقي إفريقيا	٤١
المطلب الثالث: المواجهات ضد البرتغاليين في المحيط الهندي والخليج العربي	٤٦
الفصل الثالث: الدعوة عند الإمامين	٥٤
المبحث الأول: الدعوة عند العمانيين	٥٤
المطلب الأول: تعريف الدعوة لغة واصطلاحاً	٥٤
الفرع الأول: الدعوة في اللغة:	٥٤
الفرع الثاني: الدعوة اصطلاحاً:	٥٤
المطلب الثاني: موقع عمان الجغرافي وأثره في الدعوة:	٥٥
المبحث الثاني: الدعوة عند الإمام ناصر بن مرشد والإمام سلطان بن سيف	٥٧
المطلب الأول: التنظيم الفكري عند الإمامين وأثره في الدعوة	٥٧
المطلب الثاني: التنظيم السياسي والعسكري عند الإمامين ودوره في الدعوة	٦١
المطلب الثالث: التنظيم الاجتماعي والاقتصادي عند الإمامين ودوره في الدعوة	٦٣

٦٦	 الخاتمة
٦٦	 ثانيا/ التوصيات
٦٧	 قائمة المصادر والمراجع:
٧٠	 الفهرس